تطور شكل السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية
"دراسة تحليلية مقارنة"

د / أحمد محمد زكي أحمد (*)

***الملخص:**

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل فكرة الرواق الخارجي، أو ما يُعرف باسم السقيفة التي تتقدم العمائر العثمانية الدينية، والتي ورثها العثمانيون عن أسلافهم السلاچقة، مع تحليل لأصل نشأتها في مشرق العالم الإسلامي ومغربه وأهم نماذجها، إلى جانب دراسة التكوين المعماري وهندسة البناء لنماذج السقائف في العمائر الدينية العثمانية، مع القيام بالدراسة التحليلية لأنواع هذه السقائف وتطور أشكالها بهدف إضافة مساحة أخرى زائدة للمباني الملحقة بها ربما كبديل عن الصحن والذي تخلو منه، ومن هذه الأنواع:

١- السقيفة التي تتقدم المبنى على محور المحراب.
٢- السقيفة التي تتقدم المبنى على غير محور المحراب (محور جانبي).
٣- السقيفة التي تحيط بالمبنى من جهتين في شكل حرف (L) الإنجليزي.
٤- السقيفة التي تحيط بالمبنى من ثلاث جهات عدا جهة (جدار) القبلة على شكل حرف (U) الإنجليزي.
٥- السقيفة المزدوجة.

مع ذكر النماذج المختلفة لكل نوع، وتوضيح مخطط المبني الذي تتقدمه كل سقيفة منه، وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج الله تعالى ندعو أن تكون بمثابة رؤية جديدة صائبة حول شكل السقيفة وهندسة بنائها وأنواعها في العمارة العثمانية خاصة، والعمارة الإسلامية بصفة عامة.

***الكلمات المفتاحية:**

السقيفة – الرواق الأمامي – طرز بورصة الثلاثة – القبة – السقيفة المزدوجة – شكل حرف (T) المقلوب.

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية – كلية الآداب– جامعة الإسكندرية.
drahmadzaky@yahoo.com

- **الهدف من الدراسة:**

وقع اختيار الباحث على الرواق الخارجي أو ما يُعرف باسم السقيفة التي تتقدم العمائر العثمانية الدينية لتكون موضوع الدراسة والبحث؛ وذلك بهدف إلقاء المزيد من الضوء على تكوينها المعماري وهندسة بنائها، وما تزدان به من حليات، إلى جانب تنوعها وتطور نماذجها في العمائر العثمانية الدينية، بالإضافة إلى محاولة تتبع أصولها شرقاً وغرباً في العمارة الإسلامية بصفة عامة، فضلاً عما تضمه جنباتها من عناصر معمارية وحليات زخرفية، وفق منهج وصفي تحليلي مقارن، والله أسأل التوفيق والسداد.

- **مقدمة:**

ورث العثمانيون فكرة الرواق الخارجي أو السقيفة[١] (Portico) التي تتقدم عمائرهم الدينية عن أسلافهم سلاچقة الروم في الأناضول (آسيا الصغرى)، من ضمن ما ورثوه [٢] عنهم في مجال العمارة والفنون، والذين تأثروا بدورهم بما ورثوه عن أجدادهم السلاچقة العظام في بلاد فارس[٣]، فظهرت هذه السقيفة بحيث تتقدم أغلب مخططات العمائر العثمانية بصفة عامة والدينية منها بصفة خاصة، وكانت مقسمة إلى عدة أقسام أو وحدات، تغطيها إما قباب أو أقبية أو يتم الجمع بينهما معاً – شكل رقم (١) – فضلاً عن ظهور السقائف ذات الأسقف الخشبية المسطحة أو المائلة وإن قلت نماذجها، وهو ما ظهر في مخططات طرز بورصة

---

(١) السَّقِيفَةُ: الجمع سَقَائِفُ، وهي كل بناء سُقفت به صُفَّةُ أو شِبْهُها مما يكون بارزاً، والسَّقِيفَةُ "الصُّفَّةُ"، ومنها "سَقِيفَةُ بني ساعِدةَ"، وهي صُفَّةُ لها سَقْف، والسَّقِيفَةُ العريش يستظل به، وهي كل خشبة عريضة أو حجر عريض يُستطاع أن يُسَقف به حفرة أو قُتْرَة أو غيرها، والسَّقِيفَةُ هي كذلك لوح السفينة، وهي كل بناء خارج حدود المنزل، وهي العريش يُستظل به، راجع، ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٩٧؛ وكذا، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٧٥، أما بالنسبة للاصطلاح الأثري "للسَّقِيفَةُ" فهي كل خشبة عريضة كاللوح، أو حجر عريض يمكن أن يُسقف به، وتستخدم كلمة "السَّقِيفَةُ" في الوثائق للدلالة على سقف يعلو الطريق أو ممر يمتد من مبنى مجاور، ويتبع هذا المبنى، وقد يحمل أجزاء من المبنى، وتسمى "سقيفة حاملة"، وقد تُطلق لفظة "سَّقِيفَةُ" على الصُفَة التي لها سقف، وترد في الوثائق: "الحد القبلي وفيه الواجهة والسَّقِيفَةُ"، محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٦٥.

(٢) تعددت التأثيرات السلچوقية على العمارة والفنون الزخرفية العثمانية من حيث التخطيط المعماري، والعناصر المعمارية والحليات، وللاستزادة حول ذلك راجع، Yetkin, Suut Kemal, The Evaluation of Architectural form of Turkish Mosques, pp. 78 – 88;
علي الطايش، "طراز المساجد السلچوقية ببلاد الأناضول"، ص ٢١٥ – ٢٣١.

(٣) للاستزادة ميراث سلاچقة الروم عن أسلافهم السلاچقة العظام في إيران والعراق، إلى جانب عمائر السلاچقة العظام، ومنها جامع يزدي كاشت بفارس وغيره، راجع، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ١٣١، ٢٩٠.

الثلاثة، ومنها الطراز الأول وفق مخطط الجامع القبة، ولعل من أهم نماذجه أقدم الجوامع العثمانية ذات القبة الموجودة حتى الآن، وهو جامع حاچي أوزبك (Haçi Ozbek) (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، وجامع علاء الدين في بورصة (٧٣٦هـ/ ٣٥ – ١٣٣٦م)، ويشيل جامع (Yeşil Camii) أو الجامع الأخضر في ازنيك (٧٨٠ – ٧٩٥هـ / ١٣٧٨ – ١٣٩٢م) [٤]، وغيرها من النماذج الأخرى العديدة لهذا الطراز الأول من طرز بورصة الثلاثة.

كما ظهرت السقيفة كذلك بحيث تتقدم المساجد التي ابتكرها العثمانيون وفق طراز حرف (T) الإنجليزي المقلوب (The Reverse "T") أو المسجد الإيواني أو الزاوية، أو طراز بورصة الثالث[٥]، ولعل من نماذجه على سبيل المثال لا الحصر: أول نماذجه بجامع أورخان في ازنيك (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وجامع بايزيد الأول (الصاعقة) في بورصة (٧٩٣– ٧٩٧هـ/١٣٩٠ – ١٣٩٥م)، ومسجد ومدرسة السلطان مراد الأول في بورصة (٧٦٨ – ٧٨٧هـ / ١٣٦٦ – ١٣٨٥م)، ويشيل جامع أو الجامع الأخضر في بورصة (٨١٥ – ٨٢٢هـ / ١٤١٢ – ١٤١٩م)، والذي شيده حاجي إيواظ (Haçi Ivaz) زمن السلطان محمد چلبي (الأول)، ودار المرق الخضراء ليخشي بك في تيرة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، وغيرهم.

وظهرت السقيفة كذلك بحيث تتقدم طراز بورصة الثاني، والذي يمثله الجامع المتعدد القباب والمعروف بأولو جامع (Ulu Camii) أو المسجد الكبير[٦] وإن قلت

---

[٤] للاستزادة حول الجامع ذو القبة في العمارة السلچوقية بآسيا الصغرى وأهم نماذجه، وكذلك الحال نماذجه في العمارة العثمانية الأولى، وتكوينه وهندسة بنائه راجع،

Göknil, Living Architecture: Ottoman, pp. 47 – 48; Goodwin, Godfry, A History of Ottoman Architecture, pp. 17 – 22; آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٦٦،

ويلاحظ أن بعض نماذج هذا الطراز من قبة واحدة قد خلت من السقيفة التي تتقدمها تماماً كما في: جامع أورخان في بيلاچيك خلال النصف الثاني من القرن (٨هـ / ١٤م)، وجامعه الآخر في ضاحية گبزه (جبزه) بمدينة إستانبول، وغيرهما.

[٥] حول أصل هذا الطراز وتخطيطه، والمأخوذ عن المدارس السلچوقية ذات القباب بالأناضول، ونماذجها راجع: Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture in Suljuk and Ottoman Times, pp. 34 – 36; Göknil, Living Architecture, p. 89.

[٦] للاستزادة حول هذا الطراز، ونماذجه في العمارة السلچوقية أمثال: جامع سيواس الكبير، وجامع توقات (Tokad) (٥٤٠هـ/١١٤٥م) وجامع إيبليكچي بقونية (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، وغيرهم، وأصل هذا المخطط في العمارة البيزنطية والرومانية في القسطنطينية وروما وراڤنا، فضلاً عن نماذجه في العمارة الإسلامية شرقاً وغرباً راجع دراسات كل من: Ünsal Bahçet, Turkish Islamic Architecture, pp. 17 – 19; Göknil, Living Architecture, p. 50; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 55؛ آصلان آبا، فنون الترك، ص ٦٩، ١٧٣ – ١٧٤؛ وكذا، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٢٣٣ – ٢٣٥، ٣٧٦، ٣٩٠؛ وكذا، محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر (المدخل)، ص ١١٤ – ١١٥.

نوعاً ما، ومن نماذجها بشهادة جامع (جامع الشهادة) للسلطان مراد الأول (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) في بورصة، واسكي جامع (Eski Camii)، أو ما يُعرف باسم الجامع العتيق أو القديم في مدينة أدرنة، والذي بدأ بنائه سليمان چلبي، وأكمله السلطان محمد چلبي (٨٠٦ – ٨١٧هـ / ١٤٠٣ – ١٤١٤م)، وكذلك الحال في السقيفة المزدوجة التي تتقدم مخطط جامع بياله باشا بقاسم باشا في إستانبول (٩٨١هـ / ٧٣ – ١٥٧٤م)، والتي تتصل بالرواق الخارجي الجانبي الذي يتقدم جانبي مخطط الجامع.

وقد استمرت السقيفة في مساجد العثمانيين حتى بعد فتحهم لمدينة القسطنطينية (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)، واجتياحهم لقارة أوروبا فظهرت بحيث تتقدم الكثير من النماذج وفق طراز المسجد القبة (طراز بورصة الأول) في العديد من البلدان الأوروبية، ثم تطور الأمر بتحول هذا الرواق الخارجي (السقيفة) في شكل مجاز يؤدي إلى صحن أو فناء خارجي يتقدم بيت الصلاة (جناح القبلة - الحرم)، بحيث يمثل أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بهذا الفراغ السماوي، وهو ما ظهرت أولى نماذجه في جامع أوشي شرفلي (أوچ شرفة لي) Üç Şerefeli (ذو الثلاث شرفات) بأدرنة (٨٤١ – ٨٥١هـ / ١٤٣٧ – ١٤٤٧م)، ثم في غيره من المساجد السلطانية الضخمة[٧]، ورغم أن هذا الصحن قد حل محل السقيفة، إلا أنه يلاحظ تمييز ضلع رواقه الذي يُذكر بالسقيفة التي تتقدم بيت الصلاة، إلى جانب جعله أكثر ارتفاعاً نوعاً ما عن باقي الأروقة الثلاثة الأخرى، إلى جانب رفع قبابه، وزخرفته بحليات متنوعة ميزته وجملته عن غيره كما سيرد ضمن الدراسة التحليلية لاحقاً.

ويلاحظ أن هذا الرواق أو السقيفة التي تتقدم الجوامع العثمانية ومن قبلهم جوامع السلاچقة (العظام والروم) كانت بمثابة المجاز أو منطقة الانتقال أو المرحلة الانتقالية الوسطى بين التكوين الخارجي، والتكوين الداخلي للمبنى، أو بعبارة أخرى أكثر دقة أن هذه السقيفة هي حلقة الوصل فيما بين بيت الصلاة ممثلاً للتكوين الداخلي أو الفراغ الداخلي، والفناء (الصحن) ممثلاً للتكوين الخارجي أو الفراغ الخارجي للمبنى؛ وبالتالي فإن الدخول إلى بيت الصلاة لم يكن بطبيعة الحال دخولاً مباشراً كما هو المعتاد في المساجد ذات الأروقة والصحن، وإنما كان غير مباشراً؛ بحيث يتم التمهيد له من خلال هذا الرواق أو هذه السقيفة؛ مما يجعلنا نرجح بقرب التشابه بينها وبين الدرگاه[٨] في الموقع من المبنى كهمزة وصل بين داخل وخارج المبنى، فضلاً

---

[٧] حول نماذج المساجد على طراز القبة، وطراز حرف (T) المقلوب، وطراز الأولو جامع وتتقدمهم سقيفة أو الأخرى التي خلت منها في العديد من مدن أوروبا العثمانية يمكن الرجوع إلى، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج ١، ص ١٦٨ – ٢٢٠.

[٨] الدرگاه: هي لفظ فارسي يتكون من مقطعين هما "در" وتعني "الباب"، والمقطع الآخر "گاه" بمعنى "محل، مكان، مقعد، مقام،...؛ وبالتالي فإن المعنى اللغوي للفظ الفارسي بمقطعيه "درگاه" يعني "محل الباب، مكان الباب، موضع الباب، ممر، عتبة، ..." أما المعنى الاصطلاحي للفظة فهو يعني "العتبة أو الممر أو الساحة" والتي تلي فتحة الباب، وتمثل منطقة وسطى تتقدم التكوين=

عن التشابه في الدور الوظيفي[٩] والذي يلعبه كلاهما في العمائر الدينية التي يقع بها؛ إذ أن كلاهما من ضمن وظائفه أنه كان بمثابة مكان للمتأخرين في القدوم للصلاة في حالة امتلاء المسجد بالمصلين، ولذلك فقد أُطلق على السقيفة عند العثمانيين اسم (صن جماعت يري) أو "مكان الجماعة المتأخرة".

ومما سبق يمكن القول بأن السقيفة تعد كذلك بمثابة مساحة خارجية مضافة إلى المساحة المحدودة المغطاة والتي تمثل بيت الصلاة أو الحرم، والتي كان المعمار العثماني يسعى جاهداً للعمل على زيادتها منذ طراز بورصة الأول وما تلاه من تجارب، فضلاً عن الشكل الجمالي الذي أكسبته هذه السقيفة للتكوين الخارجي للمسجد وواجهته وتمييزاً لمدخله.

وفيما يلي دراسة مفصلة لشكل السقيفة في العمارة العثمانية الدينية، وتتبع أصولها، وتكوينها المعماري والزخرفي، وتطور وتنوع أشكالها وفق منهج وصفي تحليلي مقارن لمجموعة من نماذجها المتعددة في ولايات الدولة العثمانية المختلفة، ولم يحدد بعد مكاني واحد للدراسة بهدف إظهار الأنواع المختلفة لشكل السقيفة.

أولاً : أصل السقيفة التي تتقدم العمائر وبدايات ظهورها:

وبتتبع ظهور السقيفة قبل السلاچقة يلاحظ ظهورها في غرب العالم الإسلامي بمدينة سوسة التونسية في شكل رواق مسقوف يتقدم بيت الصلاة بجامع أبي فتاته (٢٢٣ – ٢٢٦هـ / ٨٣٨ – ٨٤١م)؛ بحيث يُطل على صحن الجامع من جهته الشمالية من خلال بائكة من ثلاثة عقود متجاوزة للشكل نصف الدائري (حدوية)، وباب مفتوح من الجهة الشرقية، ويعتقد أحمد فكري بأن هذا الصحن كان يحيط بالجامع من شرقيه وغربيه وشماليه، ويدلل على ذلك بأن الكتابة الكوفية المسجلة على الحجارة في إطار يعلو واجهة هذا الرواق الشمالية كانت تمتد على واجهة الجامع الغربية، ويؤكد ذلك آثار منها أعلى تلك الواجهة، ويضيف فكري ترجيحاً آخر حول الدور الذي يلعبه هذا الرواق الخارجي بجامع بوفتاته بأنه كان بمثابة "صحناً للجنائز"، أي مكاناً تؤدي به صلوات الجنائز على الأموات؛ وقد دلل على

الرئيس للمبنى؛ بحيث تمثل حلقة الوصل بين التكوين الخارجي للمبنى والتكوين الداخلي أو بمعنى آخر مرحلة انتقالية بينهما، وللاستزادة راجع، أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦٢؛ وكذا، محمد التونجي، معجم المعربات الفارسية، ص ٧٦؛ وكذا، محمد أمين، وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ٤٧.

[٩] حول الدور الوظيفي الذي تلعبه الدرگاه في العمارة الدينية، والمدنية، والدفاعية يمكن الرجوع إلى، أحمد محمد زكي، "تطور شكل الدرگاه في تخطيطات العمائر العثمانية الدينية بمدينة القاهرة"، ص ٢١١ – ٢٤٧.

ذلك بأن مثل هذه الصلوات لم يكن من المعتاد أن تقام داخل بيوت الصلاة بالمساجد في بلاد المغرب[١٠] – شكل رقم (٢) –.

وقد أطلق كريزويل على رواق جامع بوفتاته الخارجي مُسمى "رواق المقدمة"، وأضاف بأنه بمثابة المثال الوحيد على المساجد التي يوجد فيها ما يمكن تسميته "برواق المقدمة" باستثناء مسجد الصالح طلائع في مدينة القاهرة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م)[١١] – أثر رقم (١١٦) – خارج باب زويلة، والحقيقة أن هذه السقيفة والتي ظهرت ضمن مخطط هذا المسجد الأخير تعد بمثابة تأثير واضح وافد على مصر من جملة التأثيرات العديدة التي نقلها الفاطميون إلى مصر عقب استيلائهم عليها عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) وإقامة دولتهم بها (٣٥٨– ٥٦٧هـ/٩٦٩– ١١٧١م) من ضمن ما نقلوه إليها من موطنهم الأول في بلاد المغرب، وتحديداً في موضع دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى (تونس) ربيع عام (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، وحتى قدوم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر في عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)، فقد نقل إليها هو وخلفائه الفاطميون تأثيرات مغربية متنوعة في تخطيطات العمائر وعناصرها المعمارية والزخرفية[١٢]، ولعل منها هذه السقيفة أو الرواق الخارجي الذي يتقدم المبنى.

ويلاحظ أن هذه السقيفة قد ظهرت في مصر أول الأمر بحيث تتقدم منشأة جنائزية فاطمية، وهي مشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) – أثر رقم (٢٧٣) – بشارع الخليفة جنوب مدينة القاهرة، في شكل رواق مسقوف، يُطل على الخارج من خلال بائكة ثلاثية العقود من النوع المسنم (Keel Arch) ترتكز على عمد مزدوجة، ويشغل صدر هذا الرواق وتلك السقيفة محرابان على يمين ويسار المدخل المؤدي إلى داخل الضريح[١٣]، وقد انتقلت هذه السقيفة من هذا المشهد إلى جامع الصالح طلائع بن رزيك كنموذج وحيد وفريد لمثل هذه السقائف التي تتقدم منشأة دينية في شكل سقيفة

---

[١٠] للاستزادة حول التكوين المعماري لهذا الجامع وهندسة بنائه، وأصل مخططه، والنماذج المشابهة له في التخطيط وهي: مسجد سوسة الجامع، وجامع الباب المردوم (الكريستودي لالوث)، يمكن الرجوع إلى دراسات كل من: أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، ص ٢٥٣ – ٢٥٤، شكل رقم (١٠٤)؛ وكذا، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٥٩ – ٣٦١.

[١١] لوصف سقيفته راجع، كريزويل، الآثار الإسلامية الأولى، ص ٣٥٢ – ٣٥٤، شكل (٥٥).

[١٢] حول هذه التأثيرات الوافدة من المغرب وتحديداً من تونس يمكن الرجوع إلى : حسن عبد الوهاب، "الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة"، ص ٣٥٩ – ٤٢٠؛ وكذا كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، المجلد الأول، الإخشيديون والفاطميون، ص ٣١٤.

[١٣] للاستزادة حول هذا المشهد وموقعه، ومخططه، وتأثيراته، وعناصره المعمارية والزخرفية، راجع، حسن عبد الوهاب، "مساجد ومشاهد الدولة الفاطمية"، ص ١٠٤؛ وكذا، حسن عبد الوهاب، "الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة"، ص ٣٦٣؛ وكذا، كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٢٦١ – ٢٦٧، لوحة رقم (٨٦ أ)، (١١٩ أ ، ب).

تتقدم الواجهة الرئيسة الشمالية الغربية (الغربية) لهذا الجامع، بحيث تنتهي في طرفيها الشمالي والغربي بغرفة في كل طرف، وتطل هذه السقيفة على الشارع (ميدان بوابة المتولي – باب زويلة) من خلال بائكة من خمسة عقود مسنمة، ترتكز على أربعة أعمدة رخامية، ويلاحظ مدى زخرفة إطارات هذه العقود، وكوشاتها (بنيقاتها – توشيحاتها) بزخارف متنوعة، فضلاً عن سقفها الخشبي الرائع الزخرفة، إلى جانب ما يزين صدر هذه السقيفة وجانبيها من زخارف دخلات متوجة بأشكال محارية (ذات أضلع مشعة)، فضلاً عن الكتابات القرآنية بالخط الكوفي[١٤] – شكل رقم (٣)، لوحة رقم (١)، (٢) –.

ويلاحظ أن هذه السقيفة قد استمرت في الظهور بمصر خلال عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨–٧٨٤هـ/١٢٥٠–١٣٨١م) ولكنها في عمائر غير دينية بحيث تقدمت مخططات العمائر الجنائزية، ولعل منها ما يأخذ شكل السقيفة التي يغطيها سقف خشبي، كما في السقف الخشبي الذي كان يغطي السقيفة التي تتقدم قبة أم الصالح، والمعروفة بقبة فاطمة خاتون (٦٨٢–٦٨٣هـ/ ١٢٨٣–١٢٨٤م) – أثر رقم (٢٧٤) – والواقعة بالقرافة القبلية بحي الخليفة في مدينة القاهرة ولكنه اندثر، وكذلك الحال في السقف الخشبي الذي كان يتقدم قبة الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)– أثر رقم (٢٧٥)– والواقعة إلى الجنوب من قبة أم الصالح (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، وقد اندثر سقف هذه السقيفة أيضاً، أما السقف الباقي حتى الآن فهو الذي يعلو السقيفة التي تتقدم القبة الضريحية الملحقة بخانقاه بيبرس الجاشنكير بمنطقة الجمالية شمال مدينة القاهرة (٧٠٦–٧٠٩هـ/١٣٠٦ – ١٣١٠م) – أثر رقم (٣٢)[١٥]، شكل رقم (٣) – .

هذا وقد استمرت السقيفة في الظهور بمصر الإسلامية عصر دولة المماليك البحرية بحيث تتقدم بعض نماذج من عمائرهم الجنائزية ولكن مع حدوث نوع من التطوير النوعي في شكل السقيفة العام، فضلاً عن تغطيتها، وذلك في القبة الضريحية الملحقة بمدرسة صرغتمش الناصري في شارع الصليبة جنوب مدينة القاهرة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) – أثر رقم (٢١٨)– والتي تبدو سقيفتها في شكل رواق يتقدمها، ولكنه داخلي وليس خارجي، بمعنى أن هذا الرواق كان مغلقاً من جانبيه وصدره بالاختلاف عن شكل السقائف المعتادة، والتي تكون مفتوحة الصدر والجانبين؛ بحيث

---

[١٤] حول التكوين المعماري لهذا الجامع، وشكل السقيفة التي تتقدمه راجع: حسن عبد الوهاب، "مساجد ومشاهد الدولة الفاطمية"، ص ١٠٣؛ وكذا، حسن عبد الوهاب، "الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة"، ص ٣٦٣؛ وكذا، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٩٧ – ١٠٥؛ وكذا، أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٥٩ – ٢٦٧، شكل رقم (٢٠)؛ وكذا، كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٢٩٧ – ٣١٠، لوحات أرقام (٨٢، ٩٨ أ، ب، ٩٩ أ ، ١٠١ ب).

[١٥] محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٧ – ١٧٨.

تطل على الخارج من خلال بائكة مفتوحة – كما في مشهد السيدة رقية – أما بصرغتمش فهي تطل على الخارج من خلال نوافذ سفلي مستطيلة من مصبعات نحاسية، وقمريات مطولة ذات ستائر جصية معشقة بالزجاج الملون، وذلك من الصدر والجانبي، وتغطي هذه السقيفة ثلاث قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية – يذكر حسن عبد الوهاب بأنه سقف من مصلبات صغيرة [١٦]– وبالاختلاف كذلك عن النماذج السابقة المغطاة بسقف خشبي، ويذكر محمد حمزة أن هذا المثال يعد نموذجاً وحيداً – حتى الآن – لشكل السقيفة وتكوينها، وهو يرجع إلى ما يلي:

١ – اختلاف الغرض الوظيفي للقبة الجنائزية والذي كان ينحصر في ضرورة صيانتها والحفاظ عليها من أيدي العابثين فيما لو تركت مفتوحة من جهة.

٢ – لاستخدامها كمكان مناسب وملائم لتلك الوظيفة المستجدة في القباب الجنائزية والمعروفة بُقرَّاء القبة أو الشبابيك[١٧] – لوحة رقم (٣) –.

ويلاحظ أن فكرة السقيفة قد ظهرت في مصر الإسلامية قبل العصر الفاطمي، وربما تحديداً خلال عصر الولاة العباسيين والدولة الطولونية وذلك في نوع آخر من العمائر غير الدينية وهي العمائر السكنية ولكن بشكل مختلف، بل وتمثل دوراً آخر مختلف عن مثيلاتها في العمائر الدينية، فنجد أن هذه السقيفة قد ظهرت في شكل مستعرض ثلاثي الوحدات مسقوف، وذلك في التكوين الداخلي لبيوت ومنازل مدينة الفسطاط، بحيث تتقدم القسم الشمالي منها والذي يمثل مصدراً للنسيم العليل بها في فصل الصيف، والمتكون من إيوان أوسط على جانبيه حجرتان جانبيتان، وتفتح هذه السقيفة على الفناء المكشوف من خلال بائكة ثلاثية العقود قائمة على عمد، وقد تعددت نماذج هذه السقائف في داخل البيت الواحد أحياناً.[١٨]

وقد كان وجود هذه السقائف مرتبطاً بتخطيط الحجرات والأواوين الرئيسة، وما يكتنفها من حجرات المعيشة أو السكن أو العناصر المعمارية الأخرى كالدخلات وغيرها؛ بهدف توفير المزيد من الحرية والسرعة في التنقل إلى كافة حجرات وإيوانات دور الفسطاط دون التعرض إلى أشعة الشمس، فضلاً عن دورها في توفير الإضاءة والتهوية الكافية بنسمات الهواء البارد إلى داخل تلك الحجرات

---

[١٦] حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٦٣.

[١٧] محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٨١ – ١٨٢.

[١٨] حول موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية ومن ضمنها فكرة السقيفة في التكوين الداخلي للدور بمدن: الزبدة وحائل وفيد، وتعددها حتى وصلت في أحد دور مدينة حائل إلى أربع سقائف، ودورها في عمائر مدينة الفسطاط السكنية، راجع، جمال عبد الرحيم، "موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية"، ص ١- ٣٨، أشكال أرقام (٢ – ١٥).

والإيوانات،[١٩] وهو ما يختلف بطبيعة الحال عن دور السقيفة في العمائر الدينية، إلى جانب مكانها بحيث تتقدم التكوين المعماري للمبنى من الخارج.

ثانياً : التكوين المعماري والشكل العام للسقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية المبكرة:

وبتدقيق النظر في الشكل العام والتكوين المعماري للسقيفة التي تتقدم المساجد السلجوقية[٢٠] ومثيلاتها التي ظهرت في منطقة الأناضول (آسيا الصغرى) إبان قيام الدولة العثمانية وخلال القرن (٨هـ/١٤م)، وبدايات القرن (٩هـ/١٥م) يلاحظ مدى التأثر الواضح والمصبوغ بالتطور النوعي للسقيفة العثمانية في مدينتي بورصة وازنيك عن نماذجها السلجوقية، وكيف لا وقد كان فن العمارة العثمانية في ذلك الوقت يتشكل ويتكون من خلال البحث والتجربة في ميراث الأجداد السلاچقة وفق مرحلتي الأصالة والتطوير والابتكار، فكانت السقيفة ترتفع بارتفاع كتلة التكوين الأساسي للمسجد الذي تتقدمه، أي أنها تبدو في شكل جزء لا يتجزأ عن هذا المبنى، بل إنها تُكمله كوحدة واحدة وكهيكل واحد، وهو الأمر الذي تبدل وتغير بالكلية في السقائف التي تتقدم مساجد مدينة إستانبول بحيث صارت السقيفة في تكوين يوحي بأنها مضافة للمبنى، وكأنها ليست جزءاً منه، بل أصبحت على العكس ذات طبيعة إضافية للمبنى وليست أساسية[٢١].

وهو ما نشاهده في سقائف مساجد سلاچقة الروم، وبصورة واضحة وجلية في مسجد طاش (Taş) أو ما يُعرف باسم مسجد حاچي فروح (٦١٢هـ/١٢١٥م)، ومسجد بشارة بك (٦١٣هـ/١٢١٦م)، وسقيفتهما من قسمين، والسقيفة المقسمة إلى ثلاثة أقسام بمسجد صرجالي في قونية خلال النصف الثاني من القرن (٧ هـ/ ١٣م)، وكذلك الحال في المسجد الملحق بمدرسة انجه منارة لي (Inçe Minare Li) في مدينة قونية (٦٥٨–٦٦٣هـ/١٢٦٠–١٢٦٥م) [٢٢]، وسقيفته المقسمة إلى قسمين – لوحة

---

[١٩] جمال عبد الرحيم، "موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية"، ص ١٦– ١٧، ٢٠،شكل رقم (١٤-١٥).

[٢٠] يُرجح أن أول ظهور للسقيفة في المساجد السلجوقية كان في القرن (٧هـ / ١٣م) راجع، هدايت علي تيمور، جامع الملكة صفية، مج ١، ص ٤٥.

(21) Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture, p. 22.

[٢٢] للاستزادة عن طرز هذه النماذج السلجوقية وهندسة بنائها يمكن الرجوع إلى دراسات: Göknil, Living Architecture, pp. 47 – 48; وكذا علي الطايش، "طراز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول"، ص ٢٢٧ – ٢٢٨، وحول معرفة طراز المسجد القبة قبل عصر السلاچقة يذكر محمد حمزة أن العمارة الإسلامية قد عرفت إقامة المساجد الصغيرة ومنها مساجد خطط القبائل العربية، وذلك منذ النصف الثاني من القرن (١هـ / ٧م) على أقل تقدير – على حد قول سيادته – بل ربما قبل ذلك بقليل، ويدلل على ذلك من خلال المصادر التاريخية، وكذلك من خلال الأدلة الآثارية الباقية التي تعززها وتعضدها، راجع، محمد حمزة، "طراز المسجد القبة وأنماطه الباقية في المدينة=

رقم (٤) – وبركنها الجنوبي الشرقي المئذنة ذات الشرفتين، وبالتشابه مع السقائف التي تتقدم المساجد العثمانية خلال القرن (٨هـ / ١٤م)، كما في سقيفة جامع حاجي أوزبك في مدينة ازنيك، والذي يعد أقدم الجوامع العثمانية ذات القبة والتي تتقدمها سقيفة وفق طراز بورصة الأول، والمقسمة إلى ثلاثة أقسام، أعلاها أوسطها والذي يتقدم المدخل الرئيس، وجامع علاء الدين في مدينة بورصة (٧٣٦هـ/ ٣٥ – ١٣٣٦م)، والذي يغطي سقيفته قبو برميلي يستند على أربعة أعمدة، إلى جانب المئذنة التي تشغل طرف الحائط الشرقي من هذه السقيفة[٢٣].

ومن النماذج الأخرى سقيفة يشيل جامع (الجامع الأخضر) في مدينة ازنيك، والذي شيده خليل جاندارلي باشا في عام (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) على يد المهندس حاجي موسى (موسى علما)، وكان الفراغ منه عقب وفاة خليل باشا بما يقرب من أربعة عشر عاماً أي عام (٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)، ويلاحظ أن سقيفته تحمل نوع من الأصالة للشكل السلجوقي القديم للسقيفة في كونها ترتفع بارتفاع كتلة المسجد، وأنها مقسمة إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها تغطيه قبة مضلعة تقوم على قطاع مثمن الشكل، وقسميها الجانبين يغطي كل منهما قبو، غير أنه قد ظهر في هذا الجامع نوع آخر مبتكر وجديد من السقائف وهي السقيفة الداخلية، والتي تقوم بفكرة توسيع مساحة الفراغ الداخلي للجامع ذو القبة وفق طراز بورصة الأول؛ بحيث تبدو وكأنها تشكل امتداداً له وغير معزولاً عنه، فيؤدي كل منهما إلى الآخر، فتصبح تلك السقيفة الداخلية بمثابة الزيادة والامتداد لبيت الصلاة ، وهي تتكون من ثلاثة أقسام بالتشابه مع السقيفة الخارجية – السابق ذكرها – غير أن فوهة قبتها الوسطى المضلعة كانت مفتوحة قديماً، وهي الآن مسدودة[٢٤]، ومن النماذج الأخرى سقيفة مسجد فيروز بك في منطقة ميلاس (Milas) غرب تركيا (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م)، لخوجه ميرز الدين فيروزباي، والذي يتميز بسقيفته المقسمة إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها تغطيه قبة مضلعة مرتفعة على قطاع مثمن، والقسمين الجانبين يغطيهما قبوان أسطوانيان – شكل رقم (٤)، (٥)، لوحة رقم (٥) –.

المنورة والهفوف"، ص ٩ – ١١؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٦.

(٢٣) حول التكوين المعماري وهندسة البناء إلى هذين الجامعين راجع:

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 17;

Kuran, Abtullah, Sinan The Grand Old Master of the Ottoman Architecture, p. 42.

(٢٤) للاستزادة حول هذا الجامع، ومظاهر الأصالة والابتكار والتجديد فيه، وسبب تسميته بالجامع الأخضر، نتيجة للون الأخضر الغالب على البلاطات التي تكون مئذنته السلجوقية الطراز، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 20؛ آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٦٦؛ وكذا، Kuban, Doğan, L'Architecture Ottomane, L'Art en Turquie, p. 142

ويلاحظ على كل تلك النماذج من السقائف التي ظهرت خلال القرن (٨هـ / ١٤م) أنها ذات جوانب مغلقة، أي أنها لم تكن مفتوحة على الخارج من الجانبين (أي طرفيها)، فضلاً عن كونها مقسمة إلى ثلاثة أقسام أو وحدات، إلى جانب أن مادة بنائها من الجمع بين الطوب (الآجر) والحجر بالتناوب، وتطل على الخارج بائكة من عقود تقوم على عمد أو أكتاف كما في مسجد فيروز بميلاس، فضلاً عن أنه كان يُفتح بواجهتها صفين من النوافذ، وهو الأمر الذي استمر نوعاً ما في سقائف المساجد العثمانية بإستانبول خلال القرنين (٩ – ١٠هـ / ١٥ – ١٦م)، غير أن الاختلاف تجلى في كون أن بعض سقائفه أصبحت مقسمة إلى قسمين أو وحدتين فقط، وذات جوانب مفتوحة وغير مغلقة، إلى جانب أن طبيعة هذه السقائف بدت وكأنها تمثل كياناً مستقلاً ومنفصلاً عن مبنى المسجد؛ نظراً لكونها منخفضة عن تكوينه الأساسي وهيكله[٢٥]، وهو ما يتجلى في العديد من سقائف جوامع إستانبول ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

سقيفة جامع فيروز أغا (Firuz Ağa) زمن السلطان بايزيد الثاني والمشيد في عام (٨٩٦هـ / ١٤٩١م)، ويلاحظ أن سقيفته مقسمة إلى ثلاثة أقسام، تغطيها قباب قائمة على قطاع مثمن الشكل، كما أن هذه السقيفة مفتوحة من جانبيها بالاختلاف عن طراز السقائف في مدينة بورصة، كما يلاحظ أن كتلة السقيفة منخفضة نوعاً ما عن التكوين الأساسي لهيكل بناء الجامع نفسه على طراز القبة (بورصة الأول)، وبالاختلاف كذلك عن طراز سقائف مدينة بورصة، ومن النماذج الأخرى سقيفة جامع خادم إبراهيم باشا في سليوري قابي (٩٥٨هـ / ١٥٥١م) بإستانبول، والمقسمة إلى خمسة أقسام تعلوها قباب مثمنة القطاع، أعلاها أوسطها، والتي تتقدم المدخل إلى الجامع، ويلاحظ انخفاض كتلة السقيفة عن كتلة بناء الجامع المبني من قبة كبيرة قائمة على قطاع مثمن، وكذلك الحال في سقيفة جامع إسكندر باشا بحي الفاتح بإستانبول (٩٨٦هـ / ١٥٦٨م)، والمقسمة إلى ثلاثة أقسام تعلوها قباب ذات قطاع مثمن، فضلاً عن جوانبها المفتوحة غير المغلقة – لوحة رقم (٦)، (٧) –.

هذا وقد ظهرت نماذج لسقائف شاذة عن ذلك خلال القرن (١٠هـ / ١٦م) بحيث احتفظت بخصائص وسمات طراز سقائف مدينة بورصة، وهو ما يتجلى في سقيفة جامع إسكندر باشا في اخلاط (خلاط) Khalat –Ahlat (٩٧٢هـ / ٦٤ – ١٥٦٥م) بمنطقة الأناضول الشرقية على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة وان، والتي يلاحظ أنها مقسمة إلى ثلاثة أقسام تغطيها قباب ضحلة، وبارتفاع كتلة البناء بل إنها تعلوها نوعاً ما، إلى جانب كون السقيفة مغلقة من الجانبين (أي الطرفين).

---

(25) Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture, p. 22;
Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 44.

ثالثاً : تطور شكل ونوع السقائف التي تتقدم المساجد العثمانية:

يلاحظ أن شكل ونوع السقيفة لم يتوقف لدى المعمار العثماني عند حد التطوير النوعي غير الشامل والكامل والذي صممه في سقائف عمائر إستانبول خلال القرن (٩هـ / ١٦م)، وإنما تخطاه إلى ابتكار وتطوير شامل في شكل السقائف والتي أصبحت تتقدم جُل عمائره بمختلف تصميماتها[٢٦]، فظهرت السقيفة بحيث تتقدم طراز بورصة الثالث والمعروف بمخطط الجامع على شكل حرف (T) الإنجليزي المقلوب، بل وظهرت كذلك في طراز بورصة الثاني والمعروف بنظام الأولو جامع (Ulu Camii) أو الجامع المتعدد القباب وإن قلت نماذجه نوعاً ما، إلى جانب ظهور السقيفة بحيث تتقدم المساجد الجامعة الكبرى، والتي يهيمن على مخططها القبة الكبيرة، وأنصاف القباب، بل إن المعمار العثماني تفنن في تشكيل تلك السقائف بحيث تمتد أقسامها (وحداتها) بحسب مساحة بيت الصلاة وامتداد واجهته والذي تتقدمه هذه السقائف، فظهرت السقيفة المقسمة إلى ثلاثة أو أربعة[٢٧] أو خمسة أو سبعة أقسام، بل إنها وصلت في المساجد الكبرى الضخمة إلى تسعة وحدات، وقد تفنن المعمار في طرق وأساليب تغطيتها ما بين القباب المتنوعة الشكل والقطاع، وما بين الأقبية المختلفة والمتنوعة، وما بين الجمع بينهما في تناسق وإبداع رائع، وسيتم تناول ذلك مفصلاً بالنماذج والأمثلة.

---

[٢٦] يلاحظ أن السقائف قد تقدمت مخططات الأضرحة العثمانية كذلك، ولعل من نماذجها على سبيل المثال: السقيفة التي تتقدم ضريح السلطان بايزيد يلدريم بمدينة بورصة من ثلاثة أقسام، تعلوها قباب، وضريح السلطان سليم الأول بإستانبول (٩٢٩هـ / ١٥٢٣م) والمقسمة سقيفته إلى ثلاثة أقسام أو وحدات؛ وكذلك في ضريح شهزادة محمد بإستانبول (٩٥٠هـ/ ٤٣ – ١٥٤٤م) من ثلاثة أقسام ضمن مجمعه، وضريحي خرَّم سلطان وسليمان القانوني (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م)، ضمن مجمع السليمانية في إستانبول، ويلاحظ أن سقيفة الأول مقسمة إلى ثلاث وحدات؛ بينما الضريح الثاني للسلطان سليمان مقسمة إلى خمس وحدات، ومن النماذج الأخرى مدفن السلطان سليم الثاني ضمن أيا صوفيا (٩٨٢ – ٩٨٥هـ / ١٥٧٤ – ١٥٧٧م)، إلى جانب غيرها من الأضرحة الأخرى، راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٧ – ١٧٨، وقد ظهرت السقيفة كذلك بحيث تتقدم نماذج لعمائر مدنية، ولعل منها على سبيل المثال مكتبة راغب باشا في إستانبول (١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م)، والتي يتقدم مخططها سقيفة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، يغطيهم قبتان جنبيتان وبينهما قبو في المنتصف.

[٢٧] سبق الحديث عن نماذج عدة من السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية والمقسمة إلى ثلاثة أقسام، أما السقيفة المقسمة إلى أربعة أقسام فلعل من نماذجها السقيفة التي تتقدم مسجد عواض بك بن عبد المؤمن بمدينة مغنيسه (٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤ م) زمن السلطان بايزيد الثاني، وحول مخططه راجع، تامر مختار، "مسجد عواض بك بمدينة مغنيسا التركية "، جـ ٢، ص ١٤١ – ١٥٤، شكل رقم (١)، (٢)، ولوحات أرقام (١ – ١٥)، أما في مصر فلعل من نماذجه ولكن سقيفته تمثل أحد أضلاع الرواق الذي يحيط بالصحن في جامع سليمان باشا الخادم والمعروف بجامع سيدي سارية بقلعة الجبل في القاهرة (٩٣٨ هـ / ١٥٢٨ م) – أثر رقم (١٤٢) – وتغطي هذا الرواق أربع قباب مختلفة الحجم والشكل كذلك.

كذلك اتجه المعمار العثماني إلى فكرة تطوير أخرى في شكل السقيفة فظهرت أنواع جديدة من السقائف، منها السقيفة التي تتقدم أحد الجوانب الأخرى على غير محور المحراب، والسقيفة التي تتقدم المبنى من جهات عدة إما على شكل حرف (L) أو شكل حرف (U) الإنجليزي، ومنها ما يُشكل أحد أضلاع مساحة الصحن الذي يتقدم بيت الصلاة في المساجد العثماني الكبرى الجامعة، ولم يقف المعمار العثماني عند هذا الحد، بل إنه اتجه إلى فكرة جديدة وهي تعدد السقائف في المنشأة الواحدة فظهرت فكرة السقيفة المزدوجة، وذلك في المساجد التي خلت من الصحون، كما ابتكر كذلك في المساجد الكبرى فكرة السقائف الجانبية، والتي تمنح مزيداً من الحياة إلى الواجهات والجدران الجانبية لهذه المساجد، وفيما يلي عرض مفصل لأشكال وأنواع ونماذج من ذلك التطوير الذي أبدعه وابتكره المعمار العثماني في فكرة السقيفة التي تتقدم عمائره الدينية:

١ ــ السقيفة التي تتقدم التكوين الرئيس للمبنى على محور المحراب:

وهو ذلك النوع من السقائف الذي نراه معتاداً منذ عصر سلاچقة الروم، وتحديداً منذ القرن (٧هـ/١٣م) بداية ظهور نماذجها، ثم فيما نقله عنهم العثمانيين في جُل عمائرهم، فكانت في شكل رواق يتقدم كتلة البناء أمام المدخل المواجه لجدار القبلة على المحور الرئيس لكتلة البناء، وقد تعددت أشكال هذا النوع من السقائف بحسب تقسيم وحداتها، وهو الأمر الخاضع إلى مساحة بيت الصلاة وامتداد واجهته، ولعل منها:

أ ــ السقيفة المقسمة إلى خمسة أقسام (وحدات):

وقد ظهر هذا النوع من السقائف المقسمة إلى خمس وحدات أو أقسام في نماذج عدة من مخططات المساجد العثمانية، ويلاحظ تنوع التغطية لهذه الوحدات ما بين قباب وأقبية أو الاثنين معاً؛ حيث ظهر في مخطط طراز بورصة الثالث على شكل حرف (T) المقلوب على سبيل المثال كما في : جامع أورخان غازي في مدينة ازنيك (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م)، والتي تغطي أقسام سقيفته الخمسة أربعة أقبية متقاطعة، وتتوسطهم قبة تتقدم المدخل الرئيس إلى ذلك الجامع، وهو ما يختلف عن تغطية السقيفة التي تتقدم جامع أورخان الآخر في مدينة بورصة (٧٤٠هـ / ١٣٤٠م) والتي تغطيها ثلاث قباب في المنتصف يكتنفهم قبو متقاطع في كل جانب، ويلاحظ أنها تتكئ على بائكة من عقود مدببة، ترتكز بدورها على أكتاف بنائية تمثل واجهة السقيفة، أما سقيفة جامع ومدرسة السلطان مراد الأول (خداوندگار) في مدينة بورصة (٧٦٨ ــ ٧٨٧هـ / ١٣٦٦ ــ ١٣٨٥م) ــ شكل رقم (٦) ــ فتغطيها خمس قباب في الطابق السفلي والذي يتقدم المسجد، بينما في الطابق العلوي والذي يمثل المدرسة فتتقدمه سقيفة تغطيها ثلاث قباب قائمة على قطاع مثمن في المنتصف، ويكتنفهم قبو متقاطع بكل جانب من الجانبين.

أما بالنسبة للسقيفة التي تتقدم مسجد مراد (خداوندگار) الأول في أدرنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) أو مسجد بايزيد الأول (يلدريم – الصاعقة) (٧٩٢ – ٨٠٥هـ / ١٣٨٩ – ١٤٢٠م) فتغطيها قبة في المنتصف تتقدم المدخل الرئيس إلى المسجد، ويكتنفها أربعة أقبية متقاطعة بواقع قبوان بكل جانب[٢٨]، أما مسجد بايزيد الصاعقة في مدينة بورصة (٧٩٣– ٧٩٧هـ/١٣٩٠–١٣٩٥م) – شكل رقم (٧) – فتغطي سقيفته الخماسية الوحدات خمس قباب، وهو مايتفق مع السقائف التي تتقدم كل من: دار المرق الخضراء ليخشى بك في تيرة (٨٥٠هـ/١٤٤٩م) [٢٩]، والتي يلاحظ التفاوت بين مساحات القباب التي تغطيها – شكل رقم (٨) – فالقبة الوسطى التي تتقدم المدخل أصغر تلك القباب حجماً، ومن النماذج الأخرى سقيفة جامع محمود باشا الصدر الأعظم للسلطان محمد الفاتح (٨٦٧هـ/١٤٦٢م) [٣٠] بإستانبول – شكل رقم (٩)– وسقيفة جامع مراد باشا في إستانبول (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، وسقيفة روم محمد باشا في ضاحية اسكدار بمدينة إستانبول (٨٧٦هـ / ١٤٧١م)، وكذلك الحال بسقيفة جامع إسحق باشا ضمن مخطط الجامع والمدرسة في انجول (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، وسقيفة جامع البايزيدية للسلطان بايزيد الثاني في مدينة أماسيا (٨٩١هـ/١٤٨٦م) [٣١]، ويلاحظ ارتفاع القبة الوسطى عن باقي القباب الأخرى الأربع؛ وذلك لكونها تتقدم المدخل الرئيس إلى هذا الجامع – شكل رقم (١٠)– وترتكز هذه القباب على بائكة من عقود مدببة تتكئ بدورها على دعائم (أكتاف) بنائية، تمثل واجهة هذه السقيفة، وكذلك الحال في السقيفة التي تتقدم مخطط جامع غازي خسرو بك في سراييفو بالبوسنة (٩٣٨– ٩٤٨هـ/١٥٣١–١٥٤١م) ضمن مجمعه بهذه المدينة – شكل رقم (١١)، لوحة رقم (٨)– والسقيفة الداخلية التي تتقدم جامع مهرماه سلطان في اسكدار بإستانبول (٩٥٤هـ/٤٧– ١٥٤٨م) [٣٢]، أما السقيفة التي تتقدم مخطط جامع المرادية

---

[٢٨] يتقدم سقيفة هذا الجامع فناء تتوسطه فسقية، وهو يعد من الإضافات الحديثة للجامع وليس من صميم تخطيطه الأول، راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٩٧ – ١٩٨، شكل رقم (٧٩)، (٧٩) مكرر.

[٢٩] للاستزادة حول التكوين المعماري لهذه المساجد، راجع، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٧٣؛ وكذا، Kuban, Dogan, L'Architecture Ottomane, pp. 142 – 143; Göknil, Living Architecture, pp. 43 – 50; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 41 – 42.

[٣٠] أرخ آصلان آبا هذا الجامع لمحمود باشا في إستانبول بعام (٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م)، بينما أرجعه جودوين إلى عام (٨٧٠ هـ / ١٤٦٦ م)، وحول مخططه، راجع، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٩؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٩٦ – ١٩٧.

[٣١] آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٩؛ وكذا، Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 105

[٣٢] حول مخطط جامع مهرماه سلطان في اسكدار، راجع، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٨؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 212 – 212; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 55 – 58؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ١٠٩ – ١٢١.

للسلطان مراد الثالث بمغنيسه (٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م) على شكل حرف (T) المقلوب فهي من أربع قباب على قطاع مثمن لكل منها، ويتوسطهم قبو متقاطع يتقدم المدخل – شكل رقم (١٢)، لوحة رقم (٩)، (١٠)، (١١) –.

ويلاحظ أن هذا النوع من السقائف خماسية الوحدات قد ظهرت كذلك بحيث تتقدم المساجد العثمانية وفق طراز بورصة الثاني والمعروف بالأولو جامع، أو الجامع المتعدد القباب، وإن قلت نماذجه، فكانت السقيفة التي تتقدم الجامع العتيق أو اسكي جامع في أدرنة (٨٠٦ – ٨١٧هـ / ١٤٠٣ – ١٤١٤م) [٣٣] من قبة وسطى تكتنفها أربعة أقبية متقاطعة بواقع قبوان بكل جانب من جانبيها، ترتكز على عقود مدببة، تتكئ بدورها على أكتاف بنائية تمثل البائكة واجهة السقيفة، كما ظهرت كذلك بحيث تتقدم المساجد ذات القبة الواحدة الضخمة والتي تهيمن على التكوين البنائي للمبنى، كما في نماذج عدة لعل منها على سبيل المثال لا الحصر:

جامع شعبان (چوبان) مصطفي باشا بضاحية جبزة (گبزه) في إستانبول (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)، والسقيفة التي تتقدم قبة جامع خاصكي خّرم سلطان بإستانبول (٩٤٥هـ/ ٣٨– ١٥٣٩م) [٣٤]، والتي تغطي أقسامها الخمسة قباب، وكذلك الحال بجامع الخسروية في حلب ببلاد الشام (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، ويلاحظ أن القبة الوسطى هي الأكثر ارتفاعاً عن باقي القباب الخمس؛ لكونها تتقدم المدخل الرئيس إلى الجامع، وهو ما يتفق مع القباب الخمس والتي تعلو سقيفة جامع خادم إبراهيم باشا في سليوري قابي بإستانبول (٩٥٨هـ/١٥٥١م) [٣٥]، والتي تقوم على قطاع مثمن لكل قبة منهم، وكذلك الحال في السقيفة الداخلية التي تتقدم قبة جامع العادلية (العدلية) لمحمد باشا بن أحمد بن دوقة كين الرومي[٣٦] (٩٦٣هـ/١٥٥٦م) في ساحة بزَّة في حلب

---

[٣٣] للاستزادة حول هذا الجامع وتكوينه المعماري، ومهندسه حاجي علاء الدين من قونية والمسجل على النص التأسيسي أعلى مدخله، وقياسات الجامع وقطر قبابه التسعة (١٣,٥٠ م)، وما تعرض له هذا الجامع من تجديدات وإصلاحات في عهد السلطان محمود الأول خلال القرن (١٢هـ / ١٨م)، والزخارف الباروكية المضافة له خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م)، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 55.

[٣٤] للاستزادة حول موقع وتاريخ بناء هذا الجامع، وكونه أول عمل معماري كبير شيده المعمار سنان، وتكوينه المعماري وملاحقه، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 202 – 205; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 45 – 49؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٩٣ – ١٠١.

[٣٥] حول هذا الجامع وتكوينه المعماري وهندسة بنائه، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 244; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 101 – 104؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٦٤ – ١٦٨.

[٣٦] للاستزادة حول جامع العادلية في حلب، ومنشئه محمد باشا بن أحمد بن دوقه كين، وأوقافه على المنشأة، وتكوين المنشأة وهندسة بنائها، وسقيفتها المزدوجة، وواجهاتها، وعقودها، راجع، الحلبي الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٨٩ – ٩٢؛ وكذا، محمد كرد علي، خطط الشام، ج=

ببلاد الشام –لوحة رقم (١٢)– وكذلك السقيفة الداخلية التي تتقدم قبة جامع رستم باشا في امينونو بإستانبول (٩٦٩هـ/١٥٦٢م) [٣٧] والقائمة على قطاع مثمن، وكذلك السقيفة الداخلية لجامع محمد أغا في إستانبول (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)، أما السقيفة الداخلية لجامع رستم باشا في تكيرداغ (Tekirdage) (٩٦٠هـ/٥٢ – ١٥٥٣م) فيعلو أقسامها الخمسة قبو برميلي في المنتصف، وتكتنفه قبتان عن يمينه ومثلهما عن يساره، وهو ما يتفق تماماً مع تغطية الأقسام الخمسة للسقيفة الداخلية لجامع الأدميرال سنان باشا في بشكطاش بإستانبول (٩٦٣هـ/٥٥–١٥٥٦م) [٣٨] والقائمة قبابها على قطاع مثمن أيضاً، وكذلك الحال في السقيفة الداخلية التي تتقدم قبة جامع مسيح محمد باشا في إستانبول (٩٩٤هـ/٨٥– ١٥٨٦م) بشارع اسكي علي باشا [٣٩]، وسقيفة جامع تشانجي محمد باشا بقرة جمرك في إستانبول (٩٩٧هـ / ١٥٨٨م) – شكل رقم (١٣)، (١٤)، لوحة رقم (١٣) – .

وقد ظهرت السقيفة المقسمة إلى خمسة أقسام كذلك الحال بحيث تتقدم مخططات المساجد الضخمة التي تُهيمن عليها القبة المركزية الضخمة، والتي تتعامد عليها أنصاف القباب، وإن قلت نماذجها، ولعل منها جامع الفاتحية بأثينا في اليونان (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)، والذي يتألف مخططه من قبة مركزية تتعامد عليها أربعة أنصاف قباب على المحاور الأربعة الرئيسة، ويشغل كل ركن من الأركان الأربعة لمربع بيت صلاة هذا الجامع قبة صغيرة بكل ركن، ويتقدم هذا المخطط سقيفة من خمسة أقسام (وحدات) تغطي كل منها قبة، وهو ما يتفق تماماً مع القباب الخمس التي تغطي السقيفة الداخلية التي تتقدم مخطط جامع قليج علي باشا في طوبخانه بإستانبول

٦، ص ٥٠؛ وكذا، أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، ص ١٢٧؛ وكذا، محمد راغب الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج ٣، ص ١٦٦ – ١٧٠؛ وكذا، نجوى عثمان، الهندسة الإنشائية في مساجد حلب، ص ٢٦٧، ٢٧٣ – ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣ – ٢٨٤، ٢٨٨.

[٣٧] حول التكوين المعماري لهذا الجامع وعناصره المعمارية وحلياته، وبلاطاته، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 249 – 250; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 138 - 141.

[٣٨] للاستزادة عن التكوين المعماري لهذا جامع ، والجمع فيه بين الجامع والمدرسة حول فناء أوسط مكشوف، وفكرة السقيفة المزدوجة بمخططه، وما ساقه جودوين من كون سقيفته الداخلية تم إدماجها في عصر لاحق، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 241; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 104 – 107.

[٣٩] حول ترجمة مشيد هذا الجامع، وعناصره المعمارية وحلياته، إلى جانب أهم عمائره بمصر، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 270 – 271؛ وثيقة وقف مسيح باشا الوالي العثماني كافل المملكة الشريفة الإسلامية بالديار المصرية والأقطار الحجازية واليمن، ص ١ – ٥٤، وحول جامع نشانجي محمد باشا، راجع، Kuran, Sinan, The grand Old Master, pp. 234 – 235.

(٩٨٨ هـ/٨٠–١٥٨١م) [٤٠]، ويلاحظ أن القبة الوسطى التي تتقدم المدخل الرئيس تقوم على قطاع مثمن الشكل، كما أنها أكثر ارتفاعاً عن باقي القباب التي تكتنفها، وقد ظهرت السقيفة المقسمة خمسة أقسام كذلك في مسجد الخاتونية بمغنيسه (٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م)، ويلاحظ أنه يغطي أقسامها أربع قباب، إلى جانب قبو متقاطع يتوسطهم، بحيث يتقدم المدخل الرئيس إلى هذا الجامع.

ويلاحظ أن السقيفة ذات الخمس وحدات قد ظهرت كذلك بحيث تتقدم المبنى وتشغل أحد أضلاع الصحن السماوي المكشوف الذي يتقدمه؛ إذ تمثل أحد جوانبه الأربعة، أو بعبارة أخرى أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بهذا الفناء، ولعل من نماذجها الرواق الجنوبي الشرقي لصحن جامع شهزادة محمد في إستانبول (٩٥٥هـ / ٤٨ – ١٥٤٩م)، ويلاحظ أن هذا الرواق من خمس وحدات تغطيها خمس قباب على قطاع مثمن، وأوسطهم أكثرهم ارتفاعاً، وهي التي تتقدم المدخل الرئيس إلى بيت صلاة هذا الجامع[٤١] – شكل رقم (١٥)، (١٦) – وهو ما يتفق مع مثيله في جامع السليمية بأدرنة (٩٨٢ هـ / ٧٤ – ١٥٧٥م) [٤٢]، غير أن سقيفة هذا الجامع الأخير يلاحظ أنها تبدو وكأنها استمراراً لكتلة بيت الصلاة؛ إذ أنها أكثر ارتفاعاً عن باقي أروقة الصحن الثلاثة الأخرى – شكل رقم (١٧)، لوحة رقم (١٤) – كما أن أقسامها الخمسة وقبابها أكثر اتساعاً وأكبر حجماً؛ مما جعلها تتميز وتبدو أكثر وضوحاً عنهم، بل إن المعمار قد ميز القسم الأوسط من هذه السقيفة عن باقي الأقسام الخمسة الأخرى فجعل قبته مضلعة، وأكثر ارتفاعاً فوق قاعدتها المثمنة المرتفعة عن باقي القباب الأربع الأخرى، والقائمة هي الأخرى على قطاعات مثمنة، كما جعل على جانبي هذا القسم الأوسط مساحة صغيرة تكتنفه يميناً ويساراً، وهي مغطاة بسقف

---

(٤٠) للاستزادة حول مخططه، والترجيح بأن مصممه هو المعمار سنان، وأن المنفذ هو أحد تلاميذه في زمن رئاسته للمعمارية، إلى جانب تأصيل تصميمه، والدراسة التحليلية لعناصره المعمارية وحلياته، راجع، Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 213 – 220 ؛
أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٣٧١ – ٣٨٢.

(٤١) حول مخطط هذا الجامع، وترجمة شهزادة محمد، وتأصيل مخططه وهندسة بنائه، راجع، Kurban, Dogan, L'Architecture, Ottomane, p. 149; Goknil, Living Architecture, p. 98; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 206 – 211; Kuran, Sinan, The Grand of Old Master, pp. 54 – 63 ؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٢٥ – ١٥١.

(٤٢) للاستزادة حول مخطط جامع السليمية ومنشئه سليم الثاني، وكون مخططه يمثل قمة تطور العمارة العثمانية في خلق المساحة المثالية للفراغ المركزي الممتد تحت قبة ضخمة تهيمن عليه، إلى جانب أهم عناصر هذا الجامع المعمارية وحلياته الزخرفية، راجع، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 261 – 266; Levey, The World of Ottoman Art, pp. 81 – 84; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 163 – 178؛
أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٣٠٢ – ٣٣٣.

مسطح، فبدا التكوين العام في شكل سقيفة صريحة تتقدم الجامع، وتمثل كذلك أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي المكشوف الذي يتقدمه، ومن النماذج الأخرى بصحن جامع نور عثمانية (النور) في إستانبول (١١٦٢–١١٦٩هـ/١٧٤٨–١٧٥٥م)– شكل رقم (١٨)، لوحة رقم (١٥) – وجامع لاله لي بإستانبول أيضاً (١١٧٣ – ١١٧٧هـ / ١٧٥٩ – ١٧٦٣م) [٤٣]، غير أن السقيفة في هذين النموذجين تتساوى في الارتفاع مع باقي أروقة الصحن الثلاثة الأخرى، مع تميز قباب الرواق الجنوبي الشرقي لصحن جامع نور عثمانية بارتفاعها عن باقي قباب أروقة الصحن الثلاث الأخرى تمييزاً له.

وظهرت السقيفة خماسية الوحدات بحيث تتقدم بيت الصلاة للمسجد، وتمثل كذلك أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي الأوسط المكشوف والذي يمثل الرابط العضوي الذي يجمع بين الجامع والمدرسة معاً في بناء واحد متكامل، كما في سقيفة جامع قره أحمد باشا في طوب قابي بإستانبول (٩٦٩هـ/١٥٦٢م) وهي من خمس قباب أكبر حجماً عن باقي قباب أضلاع أروقة الصحن الأخرى، بل ومساحة، ويلاحظ أنه يكتنف جانبي السقيفة المذكورة قبوان، بواقع قبو بكل جانب (ركن) من هذه السقيفة عند التقائه بضلعي رواقي الصحن الجانبيين، أما سقيفة جامع زال محمود باشا بأيوب في إستانبول (٩٨٧–٩٨٨هـ/٨٠– ١٥٨١م) [٤٤] فنجد أنه تعلوها قباب أيضاً فيما عدا القسم الأوسط والذي يتقدم مدخل الجامع الرئيس فيغطيه قبو، كما يلاحظ عدم الاتصال المباشر بين هذه السقيفة وبين طرفي الضلعين الجانبيين للصحن الذي يمثل الرابط العضوي المشترك بين الجامع والمدرسة ضمن هذا المجمع البنائي، وبالاختلاف عن النموذج السابق في جامع قره أحمد باشا.

ب – السقيفة المقسمة إلى سبعة أقسام (وحدات):

وظهرت السقيفة بحيث تنقسم إلى سبع وحدات بزيادة وحدتين عن السقيفة الخماسية الوحدات السابق ذكرها، ومنها السقيفة التي تتقدم مخطط جامع فاتح باشا في ديار بكر (٩٢٢ – ٩٢٧هـ/ ١٥١٦ – ١٥٢٠م) والذي شيده محمد باشا البيقلي فاتح ديار بكر وحاكمها[٤٥]، وتغطي أقسام هذه السقيفة السبعة قباب – شكل رقم (١٩) –

---

[٤٣] علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٢٨٥؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ٢٠٩ – ٢١١.

[٤٤] للاستزادة حول مخطط هذا الجامع والمدرسة، وفكرة الصحن كرابط عضوي يجمع بينهما معاً في بناء واحد ومتكامل بصورة أكثر تطوراً عن ذي قبل في مخططات العمائر العثمانية، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 244 – 246;

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 111 – 114.

[٤٥] مخططه من قبة مركزية تتعامد عليها أربعة أنصاف قباب علي المحاور المركزية الرئيسة، ويلاحظ أن نصف القبة يكاد يساوي نصف القبة المركزية تماماً، وهو ما نجح المعمار سنان في =

وهو ما يتفق مع السقيفة التي تتقدم مخطط جامع السليمية للسلطان سليم الثاني في مدينة قونية (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م)، والذي يشبه في مخططه التخطيط الأصلي لجامع الفاتحية في إستانبول من قبة مركزية يتعامد عليها جهة المحراب نصف قبة، ويكتنفها من الجانبين ثلاث قباب صغيرة في شكل جناح بكل جانب، ويختلف هذا المخطط عن الفاتحية الأصلي في إستانبول في أنه تتقدم مخططه سقيفة بديلاً عن الصحن، ويلاحظ أن القباب السبع التي تغطي هذه السقيفة تقوم على قطاع مثمن، كما يلاحظ ارتفاع القبة الوسطى عن باقي القباب الست نوعاً ما.

ومن النماذج الأخرى للسقيفة السباعية الأقسام ما ظهر بنفس هيئة السقيفة السابقة في جامع السليمية بقونية لكنها تمثل أحد أضلاع الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي الأوسط المكشوف والذي يمثل الرابط العضوي الذي يجمع بين الجامع والمدرسة معاً في بناء واحد متكامل، كما في السقيفة الداخلية بمخطط جامع مهرماه عند بوابة أدرنة (أدرنة قابي) في إستانبول (٩٧٢هـ/١٥٦٥م) والفراغ منه أواخر العقد السادس من القرن (١٠هـ/١٦م) [٤٦]، ويلاحظ أنه يكتنف هذه السقيفة مجاز مستطيل صغير تعلوه قبة وقبو بكل جانب من جانبيه، وهو يمثل وحدة الوصل بين هذه السقيفة وضلعي رواقي المدرسة الجانبين؛ بحيث يشكلوا معاً أربعة أروقة تدور حول الصحن الأوسط المكشوف والذي يربط بين الجامع والمدرسة معاً، وهو ما يتكرر بنفس هيئة السقيفة وما تعلوها من قباب ذات قواعد مثمنة في مخطط جامع صوقللو محمد باشا في قادرغه بإستانبول (٩٧٩هـ/٧١-١٥٧٢م)[٤٧]، غير أنه يخلو من وجود المجاز المستطيل الذي يصل السقيفة بضلعي رواقي المدرسة، ويتصل بهما مباشرة – شكل رقم (٢٠)، (٢١)، لوحة رقم (١٦)، (١٧) –.

وظهرت هذه السقيفة كذلك بحيث تمثل أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي الذي يتقدم مخططات المساجد العثمانية الضخمة للسلاطين، وهو ما يتجلى

التغاضي عنه في مخططه لشهزادة محمد بإستانبول؛ بحيث جعل نصف القبة أقل قليلاً من نصف قبة كاملة، كما جعل التخطيط يتقدمه صحن سماوي مكشوف، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٣.

[٤٦] حول مخطط هذا الجامع وهندسة بنائه، راجع، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٨؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 245 – 255; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 128 – 133 ؛ أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٢٥٩ – ٢٦٨.

[٤٧] يعد صوقللو محمد باشا هو بحق من أعظم من تولوا الصدارة العظمى في الدولة العثمانية، وقد تولاها أواخر عهد القانوني، وطوال عهد ابنه سليم الثاني، وبداية عهد مراد الثالث، منذ عام (٩٧٢هـ / ١٥٦٥م) وحتى عام (٩٨٧هـ / ١٥٨٩م)، ويرجع أصله إلى البوسنة بقلعة صوقل (Sokol)، وحول كونه من أبناء الدوشيرمة، ومناصبه وعمائره العديدة، راجع، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٧٥؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 271 – 276, 281 – 282; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 114 – 121.

بصورة رائعة في السقيفة سباعية الأقسام التي تتقدم بيت الصلاة جامع أوچ شرفلي بأدرنة، والذي شيده السلطان مراد الثاني، وهو يعد أول وأقدم نموذج للصحن الذي يتقدم جامع في العمارة العثمانية، وهو ما يراه البعض بأنه بديلاً عن السقيفة[٤٨] غير أننا بالنظر إلى هذا الرواق والذي يُذكر بالسقيفة لهذا الجامع يلاحظ أنه يكاد يقارب ارتفاع كتلة الجامع، بل إنه أكثر ارتفاعاً عن باقي الأروقة الثلاثة الأخرى والتي تحيط بالفناء السماوي المكشوف لهذا الصحن، فيبدو في شكل سقيفة للجامع تتصل بالأروقة الثلاثة سالفة الذكر، ويغطي هذه السقيفة سباعية الأقسام ست قباب بعضها مثمن القطاع، إلى جانب قبو في أحد الأطراف، وترتفع القبة الوسطى عن باقي قباب هذه السقيفة الأخرى، تمييزاً للمدخل الرئيس إلى هذا الجامع، فضلاً عن ارتفاع القبة والقبو في طرفي السقيفة كذلك – شكل رقم (٢٢)، لوحة رقم (١٨) –.

هذا وقد تكررت هذه السقيفة بنفس هيئتها المرتفعة عن باقي أروقة (أضلاع) الصحن الأخرى في مخطط جامع الفاتح بمدينة إستانبول (٨٦٧–٨٧٥هـ / ١٤٦٢ – ١٤٧٠م) أعلى التل الرابع من تلال المدينة، وهو يعد من ضمن الأجزاء القليلة الباقية من الجامع الأصلي بحالتها الأولى عقب تعرض الجامع الأصلي القديم إلى زلزال في عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م)؛ مما استوجب إعادة بنائه في عهد السلطان مصطفى الثالث بين عامي (١١٨١– ١١٨٥هـ/ ١٧٦٧– ١٧٧١م) ، ويلاحظ أن سقيفته تغطيها سبع قباب على قطاعات مثمنة، والوسطى منها أكثر ارتفاعاً؛ بسبب كونها تتقدم المدخل الرئيس إلى بيت الصلاة كما هو معتاد دوماً [٤٩]– شكل رقم (٢٣)، لوحة رقم (١٩) – .

---

[٤٨] يذكر بهجت أنصال: "أن سلاچقة الأناضول قد عرفوا نماذج قليلة من الفناء المكشوف في مساجدهم كما في الجامع الكبير في سيواس، غير أنه يخلو من فكرة الأروقة والتي ظهرت في جامع أوچ شرفلي، ويضيف بأن الأروقة بدأت تظهر في المساجد ولكن في فترة الإمارات (البكويات) وليس السلاچقة، وكانت الأروقة من ثلاث جوانب فقط كما في مسجد اسحق شلبي (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م)، ثم في مغنيسه، ثم في مسجد عيسى بك في سيواس (٧٧٧هـ / ١٣٧٥م)" Ünsal, Baçet, Turkish Islamic Architecture, pp. 78 – 79؛ آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٢ – ١٨٣؛ وكذا، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٨٤ – ١٨٧– ١٨٨، ٢١٤ – ٢١٥.

[٤٩] عقب حدوث هذا الزلزال أُعيد بناء الجامع وتوسعته من جهة جدار القبلة وأصبح مخططه الجديد من قبة مركزية يتعامد عليها على المحاور الأربعة الرئيسة أربعة أنصاف قباب، ولم يتبق من الجامع القديم سوى الفناء والأروقة الأربعة التي تحيط به، والشادروان الذي يتوسطه، وبعض زخارف المدخل الرئيس من المقرنصات، والمدخلين إلى الصحن، إلى جانب قواعد مئذنتيه حتى الشرفة الأولى، بالإضافة إلى أجزاء من المحراب الأصلي القديم، وحول مهندسه والقول بأنه اسكي سنان (سنان الدين يعقوب)، إلى جانب ما يضمه مجمعه، راجع، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص ٣٠٩؛ وكذا، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٧؛ =

ويلاحظ أن فكرة السقيفة سباعية الأقسام قد تكررت في نماذج أخرى غير أنها أقرب منها إلى كونها تمثل أحد أضلاع أروقة الصحن؛ إذ أنها تتطابق في الارتفاع معاً، ولا يرتفع منها سوى القبة الوسطى، والتي تتقدم المدخل الرئيس إلى بيت الصلاة منتصف الرواق الذي يُذكر بالسقيفة، كما في جامعي البايزيدية لبايزيد الثاني: الجامع الأول في أدرنة (٨٨٩– ٨٩٣هـ/ ١٤٨٤– ١٤٨٨م)، والآخر في إستانبول (٩١٢هـ/١٥٠٦) [٥٠]، إلى جانب جامع سليم الأول (السليمية) في مدينة إستانبول (٩٥٩هـ/١٥٢٢م) [٥١]، والذي شُيد عقب وفاة السلطان على يد ابنه السلطان القانوني، وكذلك الحال في يني جامع (الجامع الجديد)، والمعروف باسم جامع الوالدة سلطان الجديد بمنطقة امينونو في مدينة إستانبول [٥٢] بين عامي (١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م) و (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) ، ويلاحظ أن القباب جميعها تقوم على قطاعات مثمنة.

جـ – السقيفة المقسمة إلى تسعة أقسام (وحدات):

ازداد حجم السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية بحيث وصلت وحداتها إلى تسعة أقسام ولعل من نماذجها ما ظهر بحيث يمثل أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي المكشوف والذي يمثل الرابط العضوي الذي يجمع بين الجامع والمدرسة في بناء واحد متكامل بالتشابه مع نماذج السقيفة الخماسية والسباعية الوحدات، وهو ما ظهر في سقيفة جامع صوقللو محمد باشا في لولي بورغاز (٩٥٦ هـ / ١٥٤٩م) [٥٣]، والتي تغطيها تسع قباب، كما ظهرت كذلك بحيث تمثل أحد أضلاع الأروقة الأربعة التي تدور حول الصحن السماوي والذي يتقدم بيت الصلاة لبعض الجوامع السلطانية الكبيرة، والتي منها جامع السليمانية ضمن مجمعه بالتل الثالث لمدينة إستانبول (٩٦٤ هـ/١٥٥٧م) [٥٤] – شكل رقم (٢٤)، لوحة رقم (٢٠) – ويلاحظ أن

وكذا، Unsla, Bahcet, Turkish Islamic Architecture, pp. 84 – 85; 87; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 128 – 129.

[٥٠] للاستزادة عن مخططي جامعي البايزيدية في أدرنة وإستانبول وتأصيلهما، وما ورد حول مهندسهما من أراء، راجع، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص ٣١٢؛ وكذا، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٩ – ١٩١؛

وكذا، Goknil, Living Architecture, p. 52; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 194.

[٥١] آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٤؛ وكذا، عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، ص ٤٣، ٧٩؛ وكذا، Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 25 .

[٥٢] علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٢٨٢ – ٢٨٣.

[٥٣] محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ٢١٢ – ٢١٣.

[٥٤] حول هذا الجامع وعمائر المجمع الأخرى المتعددة، وهندسة بنائها، وتأصيل مخطط الجامع، راجع، أحمد جودت بك، تذكرة البنيان، ص ٥٨ – ٦٤؛ وكذا، آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٨ – ٢٠٠، ٢٥٦؛ وكذا، Goknil, Living Architecture, p. 100; Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 215 – 237; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 75 – 98 ؛ محمد حامد=

سقيفته تبدو في وضع مميز عن باقي الأروقة الثلاثة الأخرى والتي تدور حول الصحن؛ إذ أنها أكثر ارتفاعاً عنها بالتشابه مع جامع السليمية في أدرنة وسقيفته خماسية الأقسام، وجوامع: أوج شرفلي بأدرنة، والفاتحية في إستانبول وسقيفتهما سباعية الأقسام – شكل (١٧)، (٢٢)، (٢٣) – ويلاحظ أن سقيفة جامع السليمانية في إستانبول مغطاة بتسع قباب، تقوم على قطاعات مثمنة، كما أن القبة الوسطى كالعادة أكثر ارتفاعاً عن باقي القباب تمييزاً للمدخل الرئيس الذي تتقدمه.

وظهرت السقيفة التساعية الأقسام كذلك ولكنها تبدو في وضع أقرب إلى كونها تمثل أحد الأروقة التي تحيط بالصحن منه إلى شكل السقيفة، ولعل من نماذجها بجامع السلطان أحمد والمعروف بالأحمدية في إستانبول (١٠١٨ – ١٠٢٦هـ / ١٦٠٩ – ١٦١٧م) [٥٥]، وقد ازدادت أقسام هذا الرواق إلى أن وصلت إلى خمس عشرة قبة في الرواق الشرقي من الصحن السماوي الذي يتقدم بيت صلاة جامع محمد علي باشا في القسم الجنوبي من قلعة الجبل بمدينة القاهرة (١٢٤٦ – ١٢٦٥هـ / ١٨٣٠ – ١٨٤٨م) – أثر رقم (٥٠٣) [٥٦] – ويلاحظ أن قبته الوسطى أكثر ارتفاعاً واتساعاً – شكل رقم (٢٥)، لوحة رقم (٢١) – .

د – السقيفة التي يغطيها سقف مسطح مائل:

اتجه المعمار في تغطيته للسقيفة إلى نوع جديد من التغطية بعيداً عما اعتاد على استخدامه في تغطية أغلب سقائف مساجده وجوامعه من استخدام القباب أو الأقبية أو الاثنين معاً، وهذا النوع هو السقف المسطح المائل والذي قلت نماذجه، وهو ما نراه في شكل رائع ومميز بالسقيفة التي تتقدم جامع صوقللو محمد باشا عند باب العزب (عزب قابي) بإستانبول (٩٨٥هـ / ٧٧ – ١٥٧٨م)، والتي يرى كوران أنها أعطت إيحاءاً بأنها توسيع وامتداد لبيت الصلاة، فضلاً عن الإيحاء الآخر الخارجي بأن البناء كتلة واحدة مع السقيفة؛ مما أفقد الوضع المركزي للجامع، وأفسد توازن كتلة الجامع، وأحدث نوعاً من عدم التوازن البصري، وهو ما يختلف عن سقيفة جامع رستم باشا في امينونو بإستانبول (٩٦٩هـ / ١٥٦٢م) ذات السقيفة المزدوجة، والتي ظهرت في شكل وحدة منفصلة عن بيت الصلاة، فأصبح كل منهما متكامل على حدا؛

بيومي، كتابات العمائر الدينية العثمانية بإستانبول، مج ١، ص ١٩٩ –٢١٠؛ وكذا، أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ١٩٠ – ٢٣٩.

[٥٥] راجع، آصلان آبا، فنون الترك، ص ٢١٢؛ وكذا، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٢٨٠ – ٢٨٢.

[٥٦] يتميز ويتفرد مخطط جامع محمد علي باشا عن غيره بوجود رواق داخلي من داخل الضلع الشمالي الغربي لبيت الصلاة. – شكل رقم (٢٥)، لوحة رقم (٢٢) –

مما أحدث توافقاً بصرياً[٥٧]، ولهذا فمن الراجح أن المعمار العثماني لم يُقبل على مثل هذه التغطية للسقائف من أجل ذلك الأمر – شكل رقم (٢٦)، لوحة رقم (٢٣) – .

٢ – السقيفة التي تتقدم المبنى في وضع جانبي على غير محور المحراب:

لم يكتف المعمار العثماني بتأثره بسلفه السلجوقي في فكرة السقيفة التي تتقدم المبنى من واجهته الرئيسة المواجهة لجدار القبلة فبدأ يطور ويخطط لمواضع أخرى للسقيفة بعيداً عن هذا المحور مع المحراب وبحسب موقع المبنى والجهة التي تسمح بوجودها، وقد كان يستخدمها أيضاً كموضع للصلاة في حالة ضيق الجامع وازدحامه بجموع المصلين لاسيما وأن مساحة الجامع تكون في الغالب صغيرة أساساً؛ ولهذا فقد أوجد محراباً بصدر هذا الرواق وتلك السقيفة، أي خارج تخطيط الجامع نفسه، وهو ما يتجلى بصورة جلية في السقيفة الخارجية التي تشغل الجهة الشمالية الشرقية، أي الجانبية وليست الأمامية لمخطط جامع أحمد كتخدا العزب يمين المار من باب العزب بالقسم الجنوبي لقلعة الجبل بالقاهرة (١١٠٩هـ / ١٦٩٨م) [٥٨] – أثر رقم (١٤٥) – في شكل رواق يتشكل من مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبي، ضاعت أجزاء كبيرة منه حالياً؛ إذ أن الجامع في حالة يرثى لها تماماً، ويحتاج إلى مد يد العون إليه بالترميم والإصلاح لأهميته من حيث التكوين المعماري وهندسة البناء من مساحة وسطى مربعة تغطيها قبة كبيرة منطقة انتقالها من مثلثات كروية، ويحيط بها من الداخل أربع دخلات صغيرة، أعمقها وأهمها الدخلة الشرقية (الجنوبية الشرقية)، ويطلوا جميعاً على تلك المساحة المربعة الوسطى التي تعلوها القبة من خلال عقد مدبب لكل دخلة منها، تمثل كوشاتها (بنيقاتها) المثلثات الكروية لهذه القبة، وبصدر السقيفة أي بجدارها الشرقي محراب صغير – شكل رقم (٢٧)، لوحة رقم (٢٤) – .

ومن النماذج الأخرى لهذه السقائف والتي تتقدم المبنى بعيداً عن محور القبلة سقيفة مسجد طلحة بصنعاء اليمن (١٠٢٩هـ / ١٦١٩م)، ويلاحظ أنها تقع جهة الغرب من المسجد، وتغطيها أربع قباب صغيرة الحجم، وهي تطل على الفناء الغربي في هذه الجهة من خلال بائكة تتألف من عقدين[٥٩].

٣ – السقيفة التي تتقدم المبنى من جهات عدة (تعدد السقائف):

اتجه المعمار العثماني إلى زيادة عدد السقائف التي تتقدم مبانيه بهدف العمل على زيادة المساحة الإجمالية للمبنى؛ إذ أن هذه السقائف كانت – كما سبق القول – تمثل

(57) Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 149.

[٥٨] حول تأصيل مخطط هذا الجامع في العمارة العثمانية داخل وخارج مصر، راجع، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٥٥ – ٣٥٩؛ وكذا، محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل)، ص ١٠٣ – ١٠٥، شكل رقم (١٤٨).

[٥٩] محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل)، ص ١١٠ – ١١١، شكل رقم (١٧٩).

دعماً حقيقاً للمبنى في حال امتلائه بالمصلين، فضلاً عن كونها مكان للصلاة لمن يأتي متأخراً من المصلين للصلاة، بل إنها كانت بمثابة البديل عن الصحون والتي تخلو منها بعض العمائر نظراً لمساحتها المحدودة، والتي يصعب إيجادها بها، ومن نماذج هذا التعدد للسقائف وأنواعه ما يلي:

أ – السقيفة التي تحيط بالمبنى من جانبين (على شكل حرف (L) الإنجليزي):

يحيط هذا النوع من السقائف بالمبنى من جانبين، بحيث يُشكل ما يشبه حرف (L) الإنجليزي حول كتلة المبنى، ولعل من نماذج هذه السقيفة ما ظهر في أوروبا العثمانية وذلك في سراييڤو بالبوسنة في حي الباشتشارشيا في السقيفة التي تحيط بجامع مصلح الدين تشكركتشي (Čekreči Muslihudinova dzamija) (٩٣٣هـ / ١٥٢٦م)[٦٠] – شكل رقم (٢٨)، لوحة رقم (٢٥) – ويلاحظ أن هذه السقيفة تحيط بمخطط الجامع وفق نظام القبة القائمة على قطاع مثمن الشكل؛ بحيث تحيط به من الجهتين الشمالية الغربية، والشمالية الشرقية في شكل يشبه حرف (L) يميل إلى الزاوية المنفرجة نوعاً ما؛ إذ أنه منحرف نوعاً من الجهة الشمالية ربما توافقاً مع اتجاه الطريق، ويغطي هذه السقيفة سقف مسطح مائل.

ومن النماذج الأخرى بالجامع ضمن مجمع شمسي أحمد باشا (Şemsi Ahmed Paşa) في اسكدار بإستانبول (٩٨٨هـ / ٨٠ – ١٥٨١م) على ضفاف مياه البسفور[٦١]، ويلاحظ أن سقيفته تحيط بالجامع على شكل حرف (L)، أو ذراعين يشكلان زاوية قائمة، ويلاحظ أن المعمار سنان[٦٢] في تصميمه لهذا الجامع بسقيفته هذه قد أحدث توافقاً مع مخططه للمدرسة الملحقة بالمجمع على شكل حرف (L)

---

[٦٠] للاستزادة حول التكوين المعماري لهذا الجامع ومنشئه، راجع، Hamdija Kreševljaković, džamija i vakufnama muslihuddina čekrekčije, 1938, pp. 4 – 5, 8 – 9, 18.

[٦١] حول ترجمة مشيد هذا المجمع كأول صدر أعظم من أصل عثماني نبيل؛ إذ لم يكن من أبناء الدوشيرمة (الدفشيرمة) زمن السلطان مراد الثالث، إلى جانب موقع المجمع على ضفاف البسفور باسكدار في إستانبول، بالإضافة إلى تكوينه المعماري وهندسة بنائه، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 282 – 283; Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 199 – 201.

[٦٢] يعد المعمار العظيم (قوچه سنان) سنان بن عبد المنان هو من أعظم معماري العالم، وللاستزادة عن نشأته، ووصفه وصفاته، إلى جانب عمائره ومنشآته، وتذاكره، وتحليل فترات عمله وحياته ما بين الإعداد والتكوين، والنضج الفني، وبلوغه الذروة ثم الأستاذية، راجع، دراسات كل من: إبراهيم أدهم، أصول معماري عثماني، إستانبول؛ وكذا، أحمد جودت بك، تذكرة البنيان؛ وكذا، Goodwin, A History of Ottoman Architecture, pp. 197 – 201; Stratton, Arthur, Sinan,; Selcuk, Mülayim, Sinan Vec agi; Kuran, Sinan, The Grand Old Master of Ottoman Architecture; محمد السيد محمد جاد، تذاكر المعماري سنان – دراسة وترجمة؛ وكذا، أحمد زكي، المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مج ١، ص ٦١ – ١٢١.

كذلك؛ مما ساعد على إحداث نوعاً من التوافق والتوازن البصري للتكوين المعماري وهندسة البناء للمجمع ككل، فضلاً عن توافقه مكانياً مع الموقع الرائع بديع المنظر والمطل على ضفاف البسفور باسكدار، وقد نجح المعمار سنان في الاستفادة من ذلك بفتح صفوف من النوافذ تطل على مياه مضيق البسفور مباشرة.

ويؤكد كوران على ما سبق من أن هذه السقيفة القائمة الزاوية قد استخدمت في جامع شمسي أحمد باشا ولأول مرة لغرضين وهما إحداث:

١- نوع من الموازنة بين التكوين البنائي المترابط من الضريح المتصل بالجامع غرباً وعنصر معماري آخر شرقاً.

٢- نوع من التنظيم البنائي المتكامل للجامع والمدرسة من خلال مخطط الجامع

والمدرسة؛ بحيث يتقاسمان فناءاً واحداً مشتركاً يجمع بينهما، كرابط عضوي، وهو الأمر الذي سبق المعمار سنان في تنفيذه في تخطيطات سابقة من قبل في نماذجه للجامع والمدرسة معاً في قره أحمد بطوب قابي، وصوقللو محمد في قادرغه بإستانبول وغيرهما، وهو المضمون المتماثل والمتكامل معمارياً غير المتوفر في مجمع شمسي أحمد؛ فاستعيض عنه بإحداث نوع من التآلف البصري بين مباني المجمع من خلال التكرار[٦٣].

والحقيقة أن هذا الأمر قد نجح سنان بالفعل في تنفيذه في ظل غياب فكرة الصحن الذي يجمع ويربط بين المدرسة والجامع كرابط عضوي بينهما؛ فحل محله بهذه السقيفة من رواقين في شكل زاوية قائمة، ويعلوهما سقف مسطح مائل، ومستفيداً منها كذلك في إحداث توازن وتكامل وتوافق بصري بين أبنية المجمع من خلال التكرار بين سقيفة الجامع على شكل حرف (L)، وسقيفة المدرسة بذراعيها على شكل حرف (L) كذلك.

ومن النماذج الأخرى لهذه السقيفة ما ظهر في أوروبا العثمانية أيضاً وفق طراز المسجد القبة (طراز بورصة الأول)، وتحديداً في مسجد أورطة في سترووميكا (Strumica) بمقدونيا اليوغوسلافية (١٠٢٢هـ / ١٦١٣م) [٦٤]، حيث تبدو السقيفة في شكل حرف (L) يحيط بالضلعين الشمالي والغربي لمخطط الجامع، ويغطيهما سقف مائل، ومن نماذجها كذلك ما ظهر في مصر في عهد محمد علي باشا (١٢٢٠ – ١٢٦٥هـ / ١٨٠٥ – ١٨٤٨م)، وذلك في جامع محمد علي بمنطقة البولاقي في الخانگاه بمدينة القليوبية (١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م)، والذي لا تزال بقاياه حتى الآن، ويلاحظ أن سقيفته تحيط بمخطط الجامع كذلك مثل النموذجين السابقين من الجهتين

---

(63) Kuran, Sinan, The grand Old Master, p. 201.

[٦٤] للاستزادة حول مخطط هذا الجامع إلى جانب غيره من النماذج في مقدونيا اليوغوسلافية، راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٤، شكل رقم (٤٨).

الشمالية والغربية، في شكل رواقين يأخذان ما يشبه حرف (L)، ويغطيهما سقف قائم على عمد خشبية[٦٥]، ويوجد بصدر الرواق الشمالي محراب جصي صغير، أما الرواق الغربي فيتقدم المدخل إلى هذا الجامع.

ب – السقيفة التي تحيط بالمبنى من ثلاثة جوانب عدا جدار القبلة على شكل حرف (U):

عمل المعمار العثماني على زيادة مساحة السقائف التي تتقدم عمائره الدينية مرة أخرى وذلك بإحاطتها لكتلة المبنى من جميع الجهات عدا جدار القبلة، أي من ثلاث جهات، على شكل حرف (U) الإنجليزي، وهو الأمر الذي سمح بإضافة مساحة زائدة للصلاة تضاف لمساحة المبنى ككل، فضلاً عن كونه بديلاً عن الصحن والذي خلت منه تصميمات هذه المباني، وهو ما ظهر لأول مرة في سقيفة جامع يعقوب شاه (٨٩٥هـ / ١٤٨٠م) بإستانبول، والتي يغطيها سقف خشبي مائل نوعاً، وكذلك الحال في مسجد لاري شلبي بأدرنة (٩٢٠هـ / ١٥١٤م)، والذي تغطي سقيفته (١١) قبة بواقع ثلاث قباب بكل رواق جانبي، وخمس قباب بالرواق الأمامي، والذي يتقدم مخطط الجامع من قبة ضخمة وكبيرة، ويلاحظ أن هذه القباب تكاد تتساوى في حجمها عدا أول قبة بكل رواق جانبي فهما أصغر القباب حجماً، أما النموذج الثالث فيتمثل في جامع علي باشا بالهفوف في المملكة العربية السعودية أوائل شهر رجب (٩٧٩هـ / ١٥٧١م)، وكذلك الحال المبنى الذي بناه علي باشا والواقع تجاه جامعه هذا، والذي يُرجح محمد حمزة بأنه هو المدرسة الوارد ذكرها في حجة الجامع[٦٦].

ومن النماذج الأخرى لهذا الرواق وهذه الزيادة التي تدور حول مخطط الجامع ذو القبة من ثلاث جهات بجامع قوچه سنان باشا[٦٧]، في منطقة بولاق أبو العلا غرب

---

[٦٥] محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل)، ص ١٠٥ – ١٠٦، شكل رقم (١٥١).

[٦٦] يذكر حمزة في معرض حديثه عن تأصيل مخطط جامع السنانية في بولاق بالقاهرة بأن النماذج التي تسبقه في فكرة الرواق الذي يحيط به من ثلاث جهات هي قليلة بل ونادرة؛ إذ لا يوجد سوى نموذجين فقط معروفين حتى الآن وهما مسجد لاري چلبي، وجامع علي باشا بالهفوف، ويضيف بأن هذا الرواق لم يتواجد بعمارة البنغال، راجع، محمد حمزة، "عمائر الوزير قوچه سنان باشا (المتوفي ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥م) الباقية في القاهرة ودمشق"، ص ١١٩.أما الباحثة التركية ألكو باتس فتقول: بأن هذا المخطط قد ظهر في إستانبول في جامع بناه يعقوب باشا سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٠م) لكنه من أسقف خشبية، وتضيف بأن هذا الرواق من العناصر النادرة في العمارة العثمانية. Bates, Ülkü, Façades in Ottoman Cairo, p. 155.

[٦٧] حول قوچه سنان باشا بن علي بن عبد الرحمن وأصله، ومناصبه، وصدارته العظمى لخمس مرات لمدة تقرب من سبع سنوات، فضلاً عن نشاطه المعماري في مصر وبلاد الشام، وإستانبول، وغيرهم، راجع دراسات كل من : ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر، ص ١١٥؛ وكذا، ابن عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة، ص ١١٦ – ١١٧؛ وكذا، عبد الله عبد الحافظ، "نماذج من منشآت ولاة مصر العثمانيين في إسطنبول"، ص ٢٥٩؛ وكذا، محمد حمزة،=

مدينة القاهرة (٩٧٩هـ / ١٥٧١م)، والمعروف بجامع السنانية ببولاق – أثر رقم (٣٤٩) – وقد وصفت حجة وقف هذا الجامع السقيفة – شكل رقم (٢٩)، لوحة رقم (٢٦) – بما يلي: "المشتمل بدلالة المشاهدة إجمالاً على قبة معقودة ....، ويدور على أسفل القبة المذكورة من خارج زيادة دايرة البنا من الجهة الشرقية والبحرية والغربية"[٦٨]، أي أطلقت على هذه السقيفة مسمى : "زيادة دايرة البنا"، ووصفت قياساتها، وما تعلوها من قباب ضحلة بلغت ثلاث قباب بكل رواق جانبي من الجهتين القبلية والبحرية، وخمس قباب ضحلة من الجهة الغربية، أي بإجمالي عدد إحدى عشرة قبة، بما يلي: "ذراع عرضها في كل جهة عشرة أذرع بما فيه الجدار الداير سفل ذلك قايم بنا الزيادة المذكورة على خمس عشر عموداً من الرخام... يعلوها قباب مقالي – مقصود ضحلة – معقودة بالطوب والجبس، عدد أحد عشر قبة مجوفة"[٦٩]، وبقياس عرض (عمق) كل رواق تبين أنه حوالي (٧,٣٠م) – شكل رقم (٢٩)، لوحة رقم (٢٦) –.

وقد اختلفت أراء الباحثين حول التطور الذي حدث في فكرة هذه السقيفة الدائرة من ثلاث جهات[٧٠]، ووضعوا افتراضات لتفسير المغزى من هذا الشكل المتطور عن شكل السقيفة المعهود والمعتاد من رواق وحيد، فرأى بعضهم بأن هذا الابتكار كان ناتجاً عن عدم التمكن من بناء صحن مكشوف يتقدم بيت الصلاة في مخطط هذا الجامع؛ وذلك لضيق المساحة بين موقع الجامع وشاطئ نهر النيل في الجهة الغربية من موقعه؛ مما دفع منشئه بابتكار بديل عن هذا الصحن وهو تلك السقيفة، وقد دعم أصحاب هذا الرأي حجتهم بما أورده الرحالة التركي أوليا چلبي الذي زار مصر عام (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)، وزار هذا الجامع خلال زيارته وأورد عنه ما يلي:

"جامع نوراني بالقرب من النيل، ذو قبة مدورة معقودة، .....، هذا الجامع على ضفة النيل فليس له صحن، وبجانبه ميضأة بها صنابير للوضوء، .....، وبجهته القبلية حديقة للورد، ...." [٧١]، وبهذا فقد فسر أصحاب هذا الرأي[٧٢] أن أوليا چلبي

"عمائر الوزير قوجه سنان باشا"، ص ٨٦ – ١٠٥؛ وكذا، وحول مخطط الجامع وتكوينه المعماري، راجع، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٢٣ – ٣٣٥.

[٦٨] حجة وقف سنان باشا، ص ١.

[٦٩] حجة وقف سنان باشا، ص ١.

[٧٠] يذكر محمد حمزة بأن ظاهرة وجود الأروقة الثلاثة (أو الزيادة) لم تظهر قبل جامع سنان باشا (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) في أي من الجوامع أو المساجد التي صممت وفق هذا النمط البسيط من طراز الجامع القبة، وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن إضافة هذه الزيادة قد جعلت من تخطيط هذا الجامع القبة أنموذجاً فريداً غير مسبوق من جهة كما أنه اتخذ إماماً نُسج على منواله فيما بعد من جهة ثانية، محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل)، ص ١١٢.

[٧١] أوليا چلبي، سياحتنامه مصر، مج ١٠، ص ٣٨٠.

بمقولته هذه يقصد أن الجامع مادام يقع على النيل مباشرة؛ فلذلك لا يتقدمه صحن، وهو الأمر الراجع إلى عدم توفر مساحة تسمح بوجوده، مما أدى إلى هذا الرواق الداير في شكل سقيفة مبتكرة وجديدة تمنح الجامع مساحة كافية بديلة عن الصحن.

وقد ظهر رأي آخر يختلف مع الرأي السابق ويرفضه برمته قائلاً بأن منشئ هذا الجامع كان يمكنه أن يبني صحناً للجامع إن أراد ذلك، ولن تعيقه المساحة؛ إذ يمكنه أن يقتطع جزءاً من المباني الأخرى والملاحق التي شيدها سنان حول الجامع والتي وصفتها حجة الوقف، وأوليا چلبي نفسه، ليبني هذا الصحن، بل إنه يمكنه الحصول على المساحة الكافية لبنائه من خلال وجود مساحة كبيرة وخالية من جهة النيل تتقدم الرواق الشمالي، وتقع داخل حيز السور الذي كان يحيط حول المسجد وملاحقه وذلك على حد قول صاحب هذا الرأي، والذي يفترض تفسيراً آخر وافتراضاً جديداً لوجود هذا الرواق وتلك السقيفة ويتمثل على حد قوله بأنه يرجع في حالة جامع السنانية ببولاق إلى جودة جو مصر وحسن اختيار المكان المطل على النيل؛ مما جعل المعمار يضع محراباً في صدر كل رواق جانبي – الموجود حالياً هو محراب الرواق البحري[٧٣] – مما يؤكد على إمكانية أداء الصلاة بالرواقين؛ ومن ثم يكون المعمار قد أعطى لبيت الصلاة – على حد قول صاحب الرأي – مساحة أرحب دون أن يفتح القبة على الرواقين[٧٤].

والحقيقة أنه يمكن القول بأن معمار الجامع ربما أراد أن يضيف إلى مساحة الجامع المحدودة والمتمثلة في القبة المركزية التي تهيمن على بيت الصلاة مساحة أخرى زائدة من الخارج كبديل يغني عن الصحن من خلال أروقة جانبية تمتد لتُفتح على السقيفة التي تتقدم مخطط الجامع وفق طراز بورصة الأول، وهو ما كان دافعاً منذ البداية إلى فكرة الأروقة الجانبية أو ما يُعرف باسم الأجنحة المستعرضة، والتي بدأها المعمار العثماني في عمائره بإستانبول حينما قام المعماري سنان بإلحاقها بجامع شهزادة محمد في إستانبول (٩٥٥هـ / ٤٨ – ١٥٤٩م) – شكل رقم (١٥) – ولكنه لم يتوصل إلى ربطها بمساحة الفراغ الداخلي، وهو ما نجح به في جعل تلك

---

[٧٢] سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ٥، ص ١٣٨ – ١٣٩؛ وكذا، هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، مج ١، ص ٢٠٨؛ وكذا،

Ülkü Bates, Facades in Ottoman Cairo, p. 155.

(٧٣) تصف حجة الوقف هذين المحرابين بصدر الرواقين الجانبيين القبلي والبحري بما يلي: "لها محرابان إحداهما بالجهة الغربية مجاور لمنار الجامع والثاني من الجهة الشرقية يجاور كل منهما شباكان من النحاس الأحمر"، حجة وقف سنان باشا، ص ١، ويلاحظ أنه قد ضاعت معالم المحراب الواقع بصدر الرواق الجنوبي الغربي (القبلي)، ولم يتبق سوى المحراب بصدر الرواق الشمالي الشرقي (البحري)، أما في الزيادة الدايرة حول مخطط جامع محمد بك أبو الذهب والذي سيرد تفاصيل الحديث عنه لاحقاً فيوجد المحراب بصدر الرواق الجنوبي الغربي منه.

[٧٤] علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٢٥.

المجنبات تندمج مع المخطط الداخلي ومساحة الفراغ بمخططه لجامع السليمانية في إستانبول – شكل رقم (٢٤)، (٢١) – بل إنه قد استفاد منها خارجياً كذلك بإكساب تلك الأماكن الجانبية روحاً وحركة لم تكن معهودة في العمائر السابقة من خلال عمل شُرفات تُطل على الخارج، وجعل بأسفلها أماكن للوضوء، إلى جانب ما فتحه بها من أبواب جانبية، وهو ما حدث بشكل أكثر تطوراً في جامعه للسلطان سليم الثاني في أدرنة والمعروف بجامع السليمية[٧٥] – شكل رقم (١٧) – وفي حالتنا هذه بجامع السنانية نرى أن المعمار أراد أن يستفيد كذلك من الموقع الخارجي بإطلالة الجامع على ضفاف شاطئ النيل كمنظر رائع، فشكل سقيفة خارجية تدور حول الجامع من ثلاث جهات تكون بمثابة أجنحة إضافية لمساحة الجامع كمصلى ولكن من الخارج المطل على المشهد البديع والذي تمثله مياه النيل وضفافه ومنظره البديع الخلاب – شكل رقم (٢٩)، لوحة رقم (٢٦) –.

وقد ظهرت نماذج أخرى لمنشآت يدور حول مخططها رواق خارجي يمثل سقيفة تدور من ثلاث جهات عدا جدار القبلة، وذلك بجامع من طراز المسجد المتعدد القباب، والمعروف بأولو جامع وذلك في جامع بياله باشا في قاسم باشا بإستانبول (٩٨١هـ / ٧١ – ١٥٧٢م)، والذي تغطي رواقيه الجانبيين سبعة أقبية متقاطعة بكل رواق، أما الرواق الأمامي والذي يتقدم التخطيط فيعلوه سقف مائل، ويلاحظ أنه تتقدمه هو الآخر سقيفة أخرى خارجية ذات سقف آخر مائل أي أن هذا الجامع تتقدمه سقيفة مزدوجة، وهو أمر جديد أن يجمع المبنى بين نوعين من السقائف: الأولى وهي السقيفة التي تدور حول الجامع من ثلاث جهات عدا جهة القبلة، والأخرى سقيفة مزدوجة – شكل رقم (٣٠)، لوحة رقم (٢٨) –.

وقد ظهر هذا النوع من السقائف مرة أخرى سادسة في مخطط الجامع الخزفي في اسكدار بإستانبول (١١٥٠هـ / ١٦٤٠م) [٧٦]، ثم مرة سابعة وربما أخيرة في مصر وللمرة الثانية بمدينة القاهرة في مخطط جامع محمد بك أبو الذهب تُجاه الجامع الأزهر

---

[٧٥] يلاحظ ظهور هذه السقائف الخارجية في نماذج أخرى لعل منها: بجامع المرادية في مغنيسه، وجامع الأحمدية، وجامع نورعثمانية، وجامع لاله لي بإستانبول، وغيرهم، كما ظهر كذلك في مصر بجامع محمد علي بالقلعة في القاهرة ويلاحظ أنه يتقدم بيت صلاته من الجهتين القبلية، والبحرية رواق بكل جهة، مغطى بإحدى عشرة قبة ضحلة، وتعد القبة الوسطى هي أكثرهم ارتفاعاً، بل وأكثرهم مساحة وحجماً كذلك، وترتكز هذه القباب على بائكة من أحد عشر عقداً نصف دائرياً، أوسطهم أكثرهم اتساعاً، وتتكئ هذه العقود بدورها على أحد عشر عموداً رخامياً رشيقاً، ذات تيجان ناقوسية، ويلاحظ أن كل رواق يتوسطه المدخل الجانبي إلى بيت الصلاة، وهما المدخل الجنوبي، والآخر الشمالي – لوحة رقم (٢٣)، (٢٧) –.

[76] Ülkü Bates, Façades of Ottoman Cairo, p. 155; هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، مج ١، ص ٢٠٨؛ وكذا، محمد حمزة، "عمائر الوزير قوچه سنان"، ص ١١٩.

(١١٨٧ – ١١٨٨هـ / ١٧٧٣ – ١٧٧٤م) [٧٧]– أثر رقم (٩٨) – والذي يُعد بمثابة نسخة تكاد تكون مكررة من جامع السنانية ببولاق مع بعض الفروق، إذ يقول الجبرتي بذلك قائلاً: "وأمر ببنائها على هذه الصفة، وهي – يقصد مدرسة أبو الذهب – على أُرنيك جامع السنانية بشاطئ النيل ببولاق"[٧٨]، ويلاحظ أن الفارق بين سقيفتي السنانية وأبو الذهب – شكل رقم (٢٩)، (٣١)، لوحة رقم (٢٦) – يتمثل فيما يلي:

أ- فصل جامع أبو الذهب وسقيفته عن الخارج بزيادة تمثل دهليز يحيط بهما من جميع الجهات عدا جدار القبلة؛ بمثابة عازل عن ضوضاء المنطقة التجارية المحيطة بالمسجد، وهو الأمر الذي لم يكن موجوداً ضمن مخطط جامع السنانية ببولاق، وإنما كان يحيط بالجامع سور خارجي من الحجر، حل محله درابزين من الحديد عن طريق ديوان عموم الأوقاف[٧٩] والذي رأى هدم السور الحجري الشرقي والبابين اللذين في نهايته من الجهتين، والاستعاضة عنه بالسور الحديدي، وتصف حجة وقف الأمير أبو الذهب هذا الدهليز بما يلي : "يُغلق على الباب المذكور درفتي باب عربي كبار خشباً نقياً، يُدخل منه إلى دورقاعة كشف سماوي مفروش أرضها بالرخام بها يسرة سلم من درجتين بالرخام الأبيض، يُتوصل منه إلى مجاز كشف سماوي، مفروش أرضه البلاط الكدان الفراني.... وبالمجازات المذكورة خزاين وستة / شبابيك من النحاس الأصفر المنكس (المؤكسد – الأصفر) .... "[٨٠].

ب- الواجهات الخارجية لجامع أبو الذهب والتي تمثل جدران الزيادة أو الدهليز أو الطرقة الكشف (السماوية)، يلاحظ أنها تمثل جدران فُتحت بها نوافذ تشغلها شبابيك من تغشيات من النحاس الأصفر المنكس والمصبوب، وذلك بالواجهتين الجنوبية، والشمالية، أما الشرقية فتمثل جدار القبلة، والغربية ملتصقة بخان الزراكشة المجاور

---

[٧٧] حول ترجمة المنشئ محمد بك أبو الذهب، وكيف أصبح من أحد مماليك علي بك الكبير إلى شيخ البلد خلفاً له، إلى جانب مخطط جامعه، وتكوينه المعماري، وهندسة بنائه، وحلياته وزخارفه، وملاحقه، وواجهاته، راجع، الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ١، ص ٥٩٦ – ٦٠١، ٦٥١ – ٦٥٢، ٦٥٤ – ٦٥٥، وللاستزادة حول وصف الجامع وسقيفته، راجع، حجة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب، ص ١٤ – ٢٠، ص ٢٩؛ وكذا، علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٣٦٠ – ٣٧٤.

[٧٨] الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٦٥٢: وكذا، حجة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب، ص ١٥ – ٢٠.

[٧٩] لجنة حفظ الآثار العربية، محاضر وتقارير اللجنة عن عام ١٩٠٢م، ص ١٠٠.

[٨٠] حجة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب، ص ١٤ – ١٥.

للجامع من هذه الجهة[٨١]، أما واجهات جامع السنانية فتتمثل في شكل بائكة تدور حول الجامع من ثلاث جهات عدا جدار القبلة، وتمثل واجهات الرواق الذي يحيط بمخطط الجامع من ثلاث جهات، والذي يمثل سقيفته.

جـ- كون جامع أبو الذهب وسقيفته معلقين أعلى حوانيت تدر دخلاً يمثل وقفاً على المبنى، وهو ما لم يكن موجوداً بمخطط وسقيفة جامع السنانية ببولاق.

د- أن القباب الأحد عشرة التي تغطي سقيفة جامع أبو الذهب (بواقع ثلاث قباب بكل رواق جانبي وخمس قباب بالرواق الذي يتقدم الجامع من الجهة الغربية) تخلو من الفوهات المفتوحة والتي تتميز بها قباب سقيفة السنانية الأحد عشرة.

هـ - تقع المئذنة في الجهة الغربية من الجامع بداخل المجاز في الجهة الجنوبية الغربية؛ إذ أنها تكاد تنفصل عن كتلة البناء في أبو الذهب، بحيث تشغل طرفي الركن الجنوبي الغربي للسقيفة، أما مئذنة السنانية فهي تشغل الطرف الجنوبي من الواجهة الجنوبية الغربية – شكل رقم(٢٩)،(٣١)، لوحة رقم (٢٦)–.

ويلاحظ أن مثل هذه السقيفة والتي تمثل زيادة تحيط بالجامع من ثلاث جهات عدا جدار القبلة قد تمت إضافتها إلى نماذج بعض الجوامع وفق طراز بورصة الأول من القبة، ومنها ما ذكره محمد حمزة كنموذج يدل على ذلك في إضافة السقيفة إلى مخطط الجامع الملحق بمشهد الشيخ عبد القادر الچيلاني ببغداد (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م)؛ حيث أمر الوزير حسين باشا السلحدار في عام (١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م) بتجديد كل من الجامع والمشهد، وإضافة تلك الزيادة له بحيث تحيط به من ثلاث جهات عدا جدار القبلة، وهذه الزيادة عبارة عن رواقين بكل جهة وليس رواق واحد كما هو معهود في النماذج السابق ذكرها[٨٢].

٤ – السقيفة المزدوجة:

اتجه المعمار العثماني إلى فكرة أخرى جديدة بهدف زيادة مساحة السقيفة التي تتقدم عمائره وذلك بإضافة سقيفة أخرى بحيث تتقدم سقيفته الأولى، وهو ما يُعرف باسم السقيفة المزدوجة، وكانت السقيفة الأولى تتشابه وتتفق مع شكل السقائف السابق ذكرها والتي تتقدم العمائر؛ بحيث أنها إما تغطي بالقباب أو بالأقبية أو بالاثنين معاً، أما السقيفة الأخرى المبتكرة والتي تتقدمها فكانت دوماً مغطاة بسقف مائل، وقد كانت في الغالب تحيط بالسقيفة الأولى من ثلاثة جوانب، وفي أحيان أخرى تتقدمها من الأمام فقط دون الجانبين طبقاً لما سيرد فيما يلي من الدراسة.

---

[٨١] اقتطع أبو الذهب جزءاً من خان الزراكشة ادخله ضمن المساحة التي بني عليها جامعه والتي كانت تمثل موضعاً لرباع خربة، الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٦٥٢؛ وكذا، أحمد عبد الوهاب ، عمائر ووثائق الغوري الجديدة، مج ١، ص ٣٤ – ٣٧.

[٨٢] محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية (المدخل) ، ص ١١٢، شكل رقم (١٨٢).

ويمكن القول بأن فكرة السقيفة المزدوجة ربما كانت باكورة التفكير فيها وبدايات ظهورها في مخطط يشيل جامع (الجامع الأخضر) في مدينة ازنيك (٧٨٠ – ٧٩٥هـ / ١٣٧٨ – ١٣٩٢م)، بحيث تتقدم الجامع سقيفة خارجية بالإضافة إلى إدماجه للسقيفة الداخلية مع مساحة الفراغ الداخلي للجامع ذو القبة الواحدة وتتقدمه سقيفة وفق طراز بورصة الأول – شكل رقم (٤)، لوحة رقم (٥) – وكذلك الحال في سقيفتي جامع الصدر الأعظم للسلطان محمد الثاني (الفاتح) محمود باشا في إستانبول (٨٦٧هـ / ١٤٦٢م)، من رواق (سقيفة) داخلي من ثلاثة أقسام، تغطي الأوسط قبو وعلى جانبيه قبتان، وتكتنف هذا الرواق حجرة بكل جانب تغطي كل منها قبة[٨٣]، أما السقيفة الخارجية فتغطيها خمس قباب – شكل رقم (٩) – غير أن الظهور الواضح والصريح في شكل سقيفتين تتقدم كل منهما الأخرى في وضع خارجي ربما ظهر لأول مرة في جامع السليمانية في چورلو (Çorlu) والمؤرخ بعام (٩١٨هـ/ ١٢ – ١٥١٣م)، وهو ما دلل عليه كوران بدليل مادي في شكل قواعد الأعمدة بالسقيفة الخارجية لهذا الجامع – لوحة رقم (٢٩) – والتي تُظهر هذا الازدواج على حد قوله، وهو الأمر الذي أصبح بمثابة ظاهرة معمارية مألوفة ومنتشرة استخدمت بكثرة في جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف وذلك من تركاله (Trikala) إلى دمشق شرقاً ببلاد الشام على حد قوله[٨٤].

ويرى جودوين أن بداية ظهور السقيفة المزدوجة كان في جامع العادلية في حلب، وقد وضع له تاريخاً مبكراً في عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) [٨٥]، مع أن التاريخ الفعلي لهذا الجامع والذي شيده محمد باشا بن أحمد بن دوقه كين هو في عام (٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م) [٨٦]، ويلاحظ أن سقيفة هذا الجامع الداخلية من خمسة أقسام تغطيها خمس قباب، أما السقيفة الخارجية فهي تطل على خارج المبنى من خلال بائكة من أحد عشر عقداً من النوع المدبب، وهذه السقيفة مسقوفة بسقف مستو (حالياً) من الخشب، وقد تم استبداله في عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) بآخر من الحديد، وذلك أثناء إجراء ترميمات بالجامع، ثم تم تغيير هذا السقف مرة أخرى بمادة حديثة وهي البيتون

---

[٨٣] آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٨٩.

[84] Kuran, Sinan, The Trand Old Master, pp. 65 – 66.

[85] Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 213.
وربما يكون ذلك ما دفع علي المليجي لأن يقول بأن السقيفة المزدوجة هي تأثير سوري، وأنها تُذكر بالمظلة التي تتقدم المدخل الرئيس لجامع سليمان باشا الخادم،
علي المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مج ١، ص ٢٧٠،
وقد يكون ما دفعه لهذا الرأي تلك السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع التكية السليمانية بدمشق.

[٨٦] الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٨٩ – ٩٢؛ وكذا، محمد كرد، خطط الشام، ج ٦، ص ٥٠؛ وكذا، محمد راغب الحلبي، أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٦٦ – ١٧٠.

المسلح، وذلك في حوالي عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) [٨٧] – لوحة رقم (١٢) – ويلاحظ أن هذه السقيفة المزدوجة من رواقين هي النموذج الوحيد في مساجد مدينة حلب[٨٨]، وقد عرفت مدينة دمشق مثل هذا النوع من السقائف المزدوجة قبلها وسيرد الحديث عنها لاحقاً.

والحقيقة أن فكرة السقيفة المزدوجة قد ظهرت بكثرة ضمن عمائر المعمار سنان، وبخاصة تلك التي تهيمن عليها القبة المركزية على قطاعات متنوعة والتي منها على قطاع مربع أو مسدس أو مثمن، كما ظهرت كذلك بحيث تتقدم طراز شكل حرف (T) المقلوب، والجامع المتعدد القباب ولكن قلت نماذجها في هذه المخططات ولعل من نماذجها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

السقيفة المزدوجة التي تتقدم مخطط جامع مهرماه سلطان في اسكدار بإستانبول (٩٥٤هـ / ٤٧ – ١٥٤٨م)، ويلاحظ أن السقيفة الداخلية من خمسة أقسام يغطي كل منها قبة – شكل رقم (١٢)، لوحة رقم (١٠) – ويلاحظ أن أوسطهم أكثرهم ارتفاعاً؛ لكونها تتقدم المدخل إلى الجامع كالعادة دوماً في تشكيل السقائف، ويتقدم هذه السقيفة الداخلية وذلك الرواق سقيفة ثابتة خارجية بحيث تحيط بها من ثلاثة جوانب، وهي مغطاة بسقف، يأخذ شكل المظلة ومغطي بصفائح من الرصاص، ويتقدم القسم المحوري (المركزي) الأوسط من هذه السقيفة إلى الأمام قليلاً؛ ليغطي الشادروان، في تكوين يبدو بديلاً عن وجود الصحن والشادروان الذي كان من المعتاد أن يتوسطه في المساجد الكبرى بإستانبول وغيرها من ولايات ومدن الدولة العثمانية المترامية الأطراف، وهذا المظهر العام لتلك السقيفة المزدوجة دفع آصلان آبا إلى أن يصفها بأنها: " بمثابة ابتكار لواجهة شاهقة ومتناسقة"، بينما يرى كوران بأن هذه السقيفة الخارجية المسطحة أكسبت الجامع "مظهراً ثقيلاً" – على حد قوله – رغم ما فعله المعمار سنان لتفادي ذلك عن طريق جعل نوافذ السقيفة على محاور الدعامات، إلى جانب قيامه بتنويع تيجان الأعمدة بجعل تلك التي ترتكز عليها هذه السقيفة المسطحة من النوع المقرنص بالاختلاف عن الأخرى التي تعلو العمد الستة التي ترتكز عليها السقيفة الداخلية من تيجان من النوع ذي المثلثات التركية، بالإضافة إلى قيامه بجعل الدعامات في الأركان لتدعيم السقيفة الخارجية، مع مدها إلى الأمام لتغطي الشادروان[٨٩].

---

[٨٧] نجوى عثمان، الهندسة الإنشائية في مساجد حلب، ص ٢٦٧ ، ٢٧٣ – ٢٧٤.

[٨٨] تعرضت هذه السقيفة لتدمير بائكتها إلى جانب غيرها من آثار وتراث مدينة حلب الشهباء من ضمن الدمار الشامل الذي حل بالقطر الشامي الناتج عن الحرب الداخلية، وذلك خلال عام ٢٠١٦م وما بعده – لوحة رقم (١٢) – .

[٨٩] آصلان آبا، فنون الترك، ص ١٩٨؛ Kuran, Sinan, The Grand Old Master, pp. 65 – 227.

وقد كرر المعمار سنان هذه السقيفة المزدوجة مرة أخرى ولكنها في مدينة دمشق ببلاد الشام وذلك في مخططه للتكية والمدرسة السليمانيتان (٩٦٢هـ / ٥٤ – ١٥٥٥م)[٩٠]، بحيث تتقدم بيت الصلاة والذي تهيمن عليه القبة الضخمة، ويلاحظ أن السقيفة الداخلية مقسمة إلى ثلاثة أقسام، يعلو الأوسط منها قبو برميلي، بينما يعلو القسمين الجانبيين له قبة ضحلة بكل جانب، أما السقيفة الخارجية والتي تتقدم السقيفة الداخلية، وتحيط بها من ثلاثة جوانب، فهي أقل ارتفاعاً من الأولى والتي ترتفع عن مستوى سقف قاعة القبة، ويغطي هذه السقيفة كالعادة سقف خشبي مائل، يرتكز على بائكة واجهتها من سبعة عقود من النوع المدبب ذو الأربعة مراكز، وفق نظام الأبلق، وجانبيها من ثلاثة عقود، ويلاحظ أن الأعمدة جرانيتية للسقيفتين، وذات تيجان مقرنصة للداخلية، ومثلثات تركية للسقيفة الخارجية – لوحة رقم (٣٠) – .

ومن النماذج الأخرى للسقيفة المزدوجة والتي مثلت ضلعاً من الأضلاع الأربعة للأروقة التي تحيط بالصحن والذي يُشكل رابط عضوي يجمع بين الجامع والمدرسة ما ظهر في مخطط جامع ومدرسة الأدميرال سنان باشا في بشكطاش بإستانبول (٩٦٣هـ / ٥٥ – ١٥٥٦م)[٩١]، ويلاحظ أن سقيفته الداخلية من خمسة أقسام تغطيها أربع قباب وفي المنتصف قبو برميلي، وتتقدمهم في الواجهة فقط ودون الجانبين سقيفة خارجية من سقف خشبي تمثل أحد الأروقة الأربعة والتي تحيط بالصحن، ويلاحظ أن هذه السقيفة لا تحيط بالسقيفة الداخلية من الجانبين كما هو معتاد فيما سبق من النماذج سالفة الذكر، ومن النماذج الأخرى في أوروبا العثمانية بالبوسنة في مدينة موستار[٩٢]، وذلك بجامع كاراجوز بك (٩٦٤هـ / ١٥٥٧م) (Karadoz

---

[٩٠] حول الفرق بينهما وبين جامع وتكية السلطان سليم الأول في الصالحية بدمشق، إلى جانب تكوينهما المعماري، راجع، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص ٣١٥؛ وكذا، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٨، ص ٣٧٦ – ٣٧٧، ٤٠٠ – ٤٠١؛ وكذا، محمد كرد، خطط الشام، ج ٦، ص ٦٤، ١٤٢ – ١٤٣؛ وكذا، سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ، "مشاهد دمشق الأثرية"، ص ٦٣، ٦٥، ٦٧؛ وكذا، عبد القادر الريحاوي، "المدرسة والتكية السليمانيتان"، ص ١٢٦ – ١٣٣؛ وكذا،

Kuran, Sinan, the Grand Old Master, pp. 75 – 77.

[٩١] يرى جودوين أن السقيفة الداخلية قد تم إدماجها إلى الجامع في عصر لاحق؛ ويدلل على ذلك بالإشارة إلى موقع المئذنة والجدران المحيطة بالرواق، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 244.

[٩٢] موستار: تقع على نهر نيرتيفا بالبوسنة، وهي عبارة عن مستوطن تطور بشكل سريع فأصبح مركزاً سياسياً واقتصادياً ودينياً قوياً، وقد كانت موستار موضع اهتمام للأتراك فقاموا بالعمل على تحصينها وجعلوها معسكراً تنطلق منه الجيوش الفاتحة نحو ساحل دالماسيا، وقد ذكر الرحالة أوليا جلبي عدد المؤسسات الإسلامية بها أثناء رحلته بالبوسنة غير أن محمد شكريتش يرى أنه قد بالغ في ذكر عددها، راجع،

نياز محمد شكريتش، انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك، ص ٢٨٩.

(begove dzamija)[٩٣]، ويلاحظ أن سقيفته الداخلية من ثلاث قباب قائمة على قطاعات مثمنة، أما سقيفته الخارجية فمغطاة بسقف مائل، وتحيط بالسقيفة الداخلية، من الجانبين كما هو معتاد في أغلب النماذج – لوحة رقم (٣١)–.

وظهرت السقيفة المزدوجة كذلك في منشأتين من منشآت الصدر الأعظم رستم باشا زوج مهرماه سلطان، والتي ظهرت السقيفة المزدوجة في منشأة ثانية لها هي الأخرى، وهذه المنشآت هي: جامع رستم باشا بامينونو في مدينة إستانبول (٩٦٩هـ / ١٥٦٢م) وهو جامع معلق وسط موقعه المزدحم بالأسواق، وسقيفته الأولى من خمس وحدات تعلو كل منهم قبة على قطاع مثمن، أما السقيفة الثانية التي تتقدمها من سقف مائل، وهي تحيط بها من ثلاثة جوانب في تكوين مرتفع عن الموقع الخارجي حول الجامع، ويلاحظ أن البائكة التي ترتكز عليها السقيفة الأولى تتكئ عقودها المدببة على عمد ذات تيجان مقرنصة، بينما بائكة السقيفة الأخرى تيجان أعمدتها من مثلثات تركية، إلى جانب ما يزدان به داخل السقيفة الأولى من بلاطات خزفية قمة في الجمال والإبداع، فضلاً عما يزين كوشات عقود بائكتها من زخارف كتابية منفذة في داخل تكوينات دائرية بداخلها لفظ الجلالة (الله)، ومحمد (ص)، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، والحسين رضي الله عنهم جميعاً[٩٤]، والنموذج الثاني لرستم باشا كان في تكيرداغ (Tekirdage)، وسقيفته المزدوجة تتطابق مع مثيلتها في امينونو غير أنه يتوسط القسم الأوسط من سقيفتها الداخلية قبو متقاطع، كما أن مخطط الجامع غير معلق – شكل رقم (١٣)، (١٤)، لوحة رقم (١٣) – .

أما بالنسبة إلى النموذج الثاني للجامع الذي تتقدمه سقيفة مزدوجة لمهرماه سلطان فقد أنشأه المعمار سنان لها في أدرنة قابي (بوابة أدرنة) بإستانبول (٩٧٢هـ / ١٥٦٥م والفراغ منه أواخر العقد السادس من القرن ١٠هـ / ١٦م)، ويلاحظ أن سقيفتها الأولى الداخلية من سبعة أقسام على غير المعتاد وهو خمسة أقسام وذلك في النماذج السابق ذكرها – أو أقل كما في التكية والمدرسة السليمانيتين بدمشق – وتغطيهم جميعاً سبع قباب، أوسطهم أكثرهم ارتفاعاً نوعاً ما؛ لأنها تتقدم المدخل إلى الجامع، وقد كان يتقدم هذه السقيفة قديماً سقيفة أخرى خارجية من سقف مائل منحدر، غير أنها غير موجودة حالياً، ولم يتبق سوى آثار لأماكن الأعمدة التي كانت تتكئ عليها، فضلاً عن فتحات في الجدارين الجانبين واللذين كانا يمثلان ضلعا المدرسة التي تشترك مع الجامع في صحن مشترك بينهما كرابط عضوي يجمعهما، وهذه الفتحات تمثل تجاويف لحمل هذا السقف الذي كان يمثل السقيفة الخارجية فيما مضي،

---

(93) Hivzija Hasandedić, spomenici kulture turskogdoba u mostaru, pp. 17 – 18.

(٩٤) يذكر جودوين أن هذه البلاطات وبخاصة تلك التي أمام المدخل إلى الجامع قد سقطت نتيجة لهزة أرضية ضربت إستانبول فتم وضعها بشكل غير جيد

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 250.

والتي لم تكن تحيط بالسقيفة الداخلية من جانبيها بالتشابه مع نموذج سقيفة جامع ومدرسة الأدميرال سنان في بشكطاش؛ وذلك لأن حجرات وأروقة المدرسة تكتنف جانبي تلك السقيفة يميناً ويساراً في شكل مجاز مستطيل صغير يعلوه قبو وقبة بكل جانب، ويلاحظ أن هذه السقيفة المزدوجة في جامع مهرماه هذا كانت ضرورية لما تحققه من ظل إضافي كان مهماً لكون هذا الجامع كان السلطان وجنوده يؤدون الصلاة فيه قبل الخروج إلى الحملات في أوروبا، رغم ما نتج عنها من إحداث نوع من الضيق في مساحة الفناء[٩٥] – شكل رقم (٢٠)، لوحة رقم (١٦) –.

ومن النماذج الأخرى للسقيفة المزدوجة أيضاً ما ظهر بمخطط جامع وفق طراز بورصة الثاني والمعروف بالأولو جامع أو الجامع المتعدد القباب، وهو ما نشاهده في جامع بيالـه باشا بقاسم باشا في إستانبول (٩٨١هـ / ٧٣ – ١٥٧٤م)، ويلاحظ أن السقيفة الداخلية يغطيها سقف مائل، وهذه السقيفة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، يفصل بينهما عقدان، ويتقدم هذه السقيفة سقيفة أخرى ذات سقف مائل هي الأخرى، وهو مجدد هو والسقف الذي يعلو الأخرى[٩٦]، ويلاحظ أن هذه السقيفة الثانية لا تحيط بالأولى من ثلاثة جوانب وإنما من الأمام فقط بالتشابه مع مثيلتيها في بشكطاش للأدميرال سنان وعند بوابة أدرنة لمهرماه سلطان، كما يلاحظ أننا ولأول مرة نشاهد سقفين يغطيان كلا السقيفتين، فضلاً عن وجود السقيفة المزدوجة أصلاً بحيث تتقدم مخطط متعدد القباب – شكل رقم (٣٠)، (٢٨) – .

ويلاحظ تكرار هذه السقيفة المزدوجة أمام مخطط جامع قليج علي باشا في طوبخانه بإستانبول (٩٨٨هـ / ٨٠ – ١٥٨١م)، ويلاحظ أن سقيفته الداخلية من خمسة أقسام تعلوهم خمس قباب على قطاعات مثمنة، وأوسطهم أعلاهم، لكونها تتقدم المدخل إلى الجامع، وتتقدمها السقيفة الخارجية من سقف مائل يُظلل تلك السقيفة الداخلية بحيث يحيط بها من ثلاثة جوانب[٩٧]، ويتقدم هذه السقيفة الخارجية شادروان مثمن يلتصق بها وتتفق هذه السقيفة المزدوجة مع سقيفة جامع مسيح محمد باشا في إستانبول (٩٩٤هـ / ٨٥ – ١٥٨٦م) غير أن سقيفته الأولى يعلو القسم الأوسط فيها أمام المدخل إلى الجامع قبو متقاطع، كما أن سقف سقيفته الخارجية فُقِدَ، وقد كان

---

[95] Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 254.

[٩٦] لم يكن السقف الذي يغطي كلا السقيفتين موجود قديماً، راجع،

Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 297.

ويذكر كوران أنه كان يوجد في الأصل عدد (٩٠) عموداً خاص بالمجنبات الخارجية والسقيفة التي تتقدم الجامع، ولكن لم يتبق منهم الآن سوى (٤٧) عموداً كاملاً بينما (٤٣) عموداً بعضهم موجود منه أجزاء، والبعض الآخر فُقِدَ تماماً بسبب حدوث زلزال دمره، أو للإهمال.

Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 126

[97] Kuran, Sinan, The Grand Old Master, p. 215.

يرتكز على بائكة ذات أعمدة رخامية تيجانها من مثلثات تركية[٩٨]، ومن النماذج الأخرى كذلك السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع عتيق الوالدة في اسكدار بإستانبول، وجامع حاجي أحمد في قيصري.

وقد ظهرت مثل هذه السقائف المزدوجة في أوروبا العثمانية وذلك في اليونان وهو ما نشاهد نماذجه ضمن مخطط طراز بورصة الأول (الجامع ذو القبة) في ينى جامع أو الجامع الجديد في كوموتيني (١٠١٧– ١٠١٨هـ/١٦٠٨ – ١٦٠٩م)[٩٩]، ويلاحظ أن سقيفته الداخلية مقسمة إلى خمسة أقسام تغطي كل منها قبة، أما السقيفة الثانية الخارجية فهي تحيط بها من ثلاثة جوانب غير أنه يلاحظ امتداد الرواق أو الجانب الجنوبي الغربي منها بحيث أنه تخطى جانب السقيفة وامتد ليوازي الجدار الجنوبي الغربي من بيت الصلاة للجامع في تكوين جديد ومختلف عن غيرها من السقائف المزدوجة المعتادة؛ مما جعل هذه السقيفة تبدو في شكل أقرب إلى السقائف التي تدور بالمبنى من ثلاثة جوانب، وكذلك الحال من جانبين بما يشبه حرف (L)؛ وذلك لأن الضلع الشمالي الشرقي منها أقل امتداداً من الضلع الجنوبي الغربي، ويشغل صدر الرواق الجنوبي الغربي محراب مجوف على غير المعتاد في مثل هذه السقائف المزدوجة، وذلك بالجدار الجنوبي الشرقي منه، وبالتشابه مع نماذجه في السقائف التي تحيط بالمبنى من ثلاث جهات عدا جدار القبلة كما في سقيفتي جامعي السنانية وأبو الذهب بمدينة القاهرة في مصر – شكل رقم (٢٩)، (٣١) – .

*** <u>في الختام:</u>**

مما سبق يلاحظ أن المعمار العثماني قد ورث عنصر السقيفة عن أجداده السلاچقة كمرحلة انتقالية بين التكوين الداخلي للمبنى ويمثله بيت الصلاة والتكوين الخارجي، إلى جانب هدف آخر هام وهو العمل على زيادة المساحة المحدودة لبيت الصلاة من الخارج لصلاة المتأخرين في القدوم للصلاة، إلى جانب منح التكوين الخارجي للواجهات والمداخل منظراً جمالياً، ولم يقف مكتوف الأيدي بل عمل على تطوير شكل هذه السقيفة فظهرت نماذج عدة منها ما هو على محور المحراب، ومنها ما هو على غير محور المحراب، إلى جانب فكرة تعدد السقائف بأشكال متعددة منها: ما يحيط بالمبنى من جانبين بشكل حرف (L)، وما يحيط بالمبنى من ثلاثة جوانب بشكل حرف (U)، ومنها السقيفة المزدوجة، كما عمل المعمار على إحداث نوع من التنوع في تغطيتها وما تضمه جنباتها من عناصر معمارية وحليات زخرفية، وذلك في نماذج عدة عالجتها الدراسة ضمن الولايات المختلفة للدولة العثمانية المترامية الأطراف.

---

(98) Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 271.

(٩٩) حول نمط مخطط هذا الجامع فضلاً عن نماذجه الأخرى في اليونان راجع، محمد حمزة، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج١، ص ١٧٢، شكل رقم (٣٩).

*** النتائج:**

توصلت الدراسة والبحث إلى مجموعة من النتائج حول تطور شكل السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية وذلك فيما يلي:

*** أظهرت** الدراسة أن فكرة السقيفة التي تتقدم أغلب العمائر العثمانية بصفة عامة والعمائر الدينية بصفة خاصة بمثابة إرث أصيل ورثه العثمانيون عن أجدادهم سلاچقة الروم من ضمن ما ورثوه عنهم في مجال العمارة والفنون، ولكنهم أخضعوه إلى خاصية من خصائص الفن الإسلامي وهي خاصية التطور المتواصل، فابتكروا أنواعاً أخرى من هذه السقائف متعددة ومتنوعة.

*** رجحت** الدراسة قرب التشابه بين السقيفة التي تتقدم العمائر العثمانية وبين الدرگاه التي تشغل العمائر المملوكية في موقعهما من المبنى كحلقة وصل بين التكوين الداخلي والتكوين الخارجي للمبنى، فضلاً عن التشابه في الدور الوظيفي والذي يلعبه كلاهما في العمائر الدينية التي يقع بها؛ إذ أنه من ضمن وظائفهما أنهما بمثابة موضعاً للصلاة للمتأخرين في القدوم لأدائها، أي مكان للجماعة المتأخرة كمساحة خارجية تضاف إلى مساحة بيت الصلاة، فضلاً عن دورها الجمالي المميز للواجهة الرئيسة والمدخل الرئيس.

*** تتبعت** الدراسة أصول فكرة السقيفة التي تتقدم العمائر في العالم الإسلامي بصفة عامة شرقاً وغرباً، وقد أثبتت أن أول ظهورها ربما يكون في غرب العالم الإسلامي بمدينة سوسة التونسية في شكل رواق مسقوف يتقدم جامع أبي فتاته، ثم انتقلت منها إلى مصر من ضمن التأثيرات الوافدة من المغرب الإسلامي مع الفاطميين الوافدين إليها، من مسقط رأسهم الأول هناك، فظهرت السقيفة بحيث تتقدم أحد المنشآت الجنائزية وهو مشهد السيدة رقية بالقاهرة، ثم ظهرت بعد ذلك بحيث تتقدم أحد العمائر الدينية وذلك بجامع الصالح طلائع، ثم استمرت السقيفة في الظهور بمصر ولكن في منشآت جنائزية عدة ضمن العصر المملوكي.

*** أظهرت** الدراسة فكرة ظهور السقيفة قبل العصر الفاطمي بمصر الإسلامية ولكن في نوع آخر من العمائر وهو العمارة السكنية، وذلك في التكوين الداخلي لدور ومساكن مدينة الفسطاط بحيث تشرف على الفناء المكشوف الذي يتوسطها بالاختلاف التام عن موقعها ودورها وشكلها في المنشآت الدينية موضوع الدراسة.

*** أوضحت** الدراسة بدايات التطور النوعي لشكل السقيفة من خلال شكلها الأول في مدينة بورصة بحيث ترتفع بارتفاع كتلة التكوين الأساسي للمسجد الذي تتقدمه وكأنها جزء لا يتجزأ منه (هيكل واحد)، كما أنها مغلقة الجانبين، بحيث تطورت في سقائف إستانبول إلى كونها أصبحت ذات طبيعة مضافة للمبنى وليست أساسية، إذ لا ترتفع

بارتفاع كتلة البناء الذي تتقدمه، كما أن جانبيها أصبحا مفتوحين، مع وجود شواذ لهذين الشكلين.

* **بينت** الدراسة أن الشكل العام للسقيفة غلب عليه كونه عبارة عن رواق يتقدم المبنى على محور المحراب، بحيث يتقدم المدخل الرئيس إلى ذلك المبنى، وقد تنوعت أقسام هذا الرواق وتعددت، وقد كان يغطي كل منها : إما قباب أو أقبية أو الاثنين معاً، وفي بعض الأحيان بسقف مسطح مائل، وفي الغالب تكون المساحة أو الوحدة أو القسم الأوسط هو الأكثر ارتفاعاً تمييزاً له عن باقي الأقسام الأخرى الجانبية؛ لكونه يتقدم المدخل الرئيس إلى المبنى، كما أن هذا الرواق يطل على الخارج من خلال بائكة أمامية، تمتد إلى الجانبين، وتتكون من العقود بأنواعها المختلفة، بحيث تختلف من سقيفة إلى أخرى، وتتكئ إما على أعمدة رخامية، أو على أكتاف حجرية، أو على الاثنين معاً في تناغم جميل.

* **اتضح** من خلال البحث أن واجهة السقيفة فُتحت بها النوافذ إما في شكل صف واحد من مصبعات معدنية، أو من صفين السفلي من مصبعات، والعلوي من قمريات مطولة معقودة، وقد ازدانت الواجهات كذلك بوزرات رخامية، وحليات متنوعة من زخارف وكتابات، وتناوب ألوان، وبلاطات خزفية ذات زخارف متنوعة ورائعة.

* **ألقت** الدراسة الضوء على أنواع السقائف التي تتقدم العمائر العثمانية والتي أخضعها المعمار العثماني إلى جانب الأصالة محافظاً على أصولها الأولى والتي ورثها عن أجداده، إلى جانب التطوير والابتكار فظهرت نماذج مبتكرة وجديدة منها؛ وذلك بهدف إحداث المزيد من المساحة المضافة إلى المخطط العام للمبنى، فظهرت السقيفة التي تتقدم المبنى على محور المحراب، والمقسمة إلى ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة أو تسعة أقسام أو أكثر بحسب امتداد واجهة بيت الصلاة ومساحته، كما ظهرت كذلك ذات السقف المسطح المائل وإن قلت نماذجها، والسقيفة التي تتقدم المبنى في وضع جانبي بعيداً عن محور المحراب، بالإضافة إلى السقيفة التي تأخذ شكل حرف (L) الإنجليزي؛ بحيث تحيط بالمبنى من جانبين، أو على شكل حرف (U) الإنجليزي؛ بحيث تحيط بالمبنى من ثلاث جهات عدا جهة جدار القبلة، فضلاً عن السقيفة المزدوجة؛ بحيث تتقدم المبنى سقيفة، ويحيط بها هي الأخرى سقيفة أخرى ثانية، تحيط بها من ثلاثة جوانب، ويلاحظ أن الأخيرة تكون في الغالب مغطاة بسقف مسطح مائل، وقد تتبعت الدراسة نماذج كل نوع منها في ولايات الدولة العثمانية المختلفة بقدر الإمكان مع مراعاة التنوع فيها.

* **رجحت** الدراسة عدم ميل المعمار العثماني إلى تغطية سقائفه بالأسقف المائلة، حيث نفذها في نماذج قليلة مقارنة بالسقائف المغطاة بالقباب والأقبية؛ وذلك لكونها تفسد توازن الجامع، وتُحدث نوعاً من عدم التوازن البصري للكتلة، مما يفقد الوضع المركزي للجامع، فيبدو الجامع والسقيفة وكأنهما كتلة واحدة كما في سقيفة التي تتقدم

جامع صوقللو محمد عند عزب قابي بإستانبول، ومع هذا فقد اعتمد المعمار على السقف المائل في تغطية السقيفة الخارجية في السقائف المزدوجة وذلك على الدوام.

* **أوضحت** الدراسة أنه على الرغم مما يراه البعض من اتجاه المعمار العثماني إلى الصحن السماوي كبديل عن السقيفة، إلا أن المعمار العثماني قد ذكر بها (أي السقيفة) وميزها عن باقي الأروقة الأخرى التي تحيط بهذا الصحن من جميع جهاته، فقد جعل الرواق الذي يمثلها أكثر ارتفاعاً عن باقي الأروقة الأخرى في نماذج عدة، بحيث يساوي ارتفاع كتلة البناء، كما أن قبابه أو أقبيته هي الأخرى أكثر ارتفاعاً بطبيعة الحال، كما في نماذج عدة، أو برفع قبابه فقط كما في نماذج أخرى عرضتها الدراسة.

* **بينت** الدراسة الغرض الآخر الذي كان يهدف إليه المعمار العثماني في فكرة السقيفة وشكلها من حرف (L) الإنجليزي إلى جانب الغرض الأول لزيادة مساحة المبنى التي تتقدمه وكبديل عن الصحن الذي خلت منه ألا وهو إحداث نوع من التآلف البصري بين مباني المجمع البنائي (الكلية) من خلال التكرار، وبالتالي إحداث نوع من التوازن والتماثل، وهو ما ظهر في السقيفة التي تأخذ شكل حرف (L) حول جامع شمسي أحمد باشا في اسكدار بإستانبول، ومخطط المدرسة الملحقة بالمجمع في شكل حرف (L) كذلك، وقد تتبعت الدراسة نماذج عدة من هذه السقيفة في أوروبا العثمانية وفي مصر.

* **رجحت** الدراسة أن فكرة السقيفة التي تتقدم المبنى في شكل زيادة دائرة من ثلاث جهات عدا جدار القبلة أي على شكل حرف (U) ربما يكون الهدف الذي يبتغيه المعمار منها هو إضافة مساحة أخرى زائدة من الخارج إلى مساحة المبنى الذي تتقدمه كبديل يُغني عن الصحن، وهو ما كان دافعاً كذلك منذ البداية إلى فكرة الأروقة الجانبية أو ما يُعرف باسم الأجنحة المستعرضة، والتي بدأت على يد المعمار سنان في جامع شهزادة بإستانبول، ثم تطورت بعد ذلك بحيث تم ربطها بمساحة الفراغ الداخلي للمبنى بدمج هذه المجنبات مع المخطط الداخلي، إلى جانب الاستفادة منها خارجياً بإكساب أماكنها حياة وحركة لم تكن معهودة من قبل في مثل هذه الأماكن الجانبية وقد عرضت الدراسة نماذجها المختلفة،

* **رجح** البحث كذلك أن المعمار العثماني ربما أراد من سقيفته على شكل حرف (U) بجامع السنانية في القاهرة أن يستفيد من الموقع الخلاب على ضفاف النيل بإضافة زيادة دايرة بمثابة أجنحة إضافية لمساحة الجامع كمصلى يطل على هذا المشهد البديع، وقد تتبعت الدراسة نماذج العمائر التي تحتوي على مثل هذا النوع من السقائف شرقاً وغرباً.

* **أظهرت** الدراسة نماذج عدة للسقائف التي تتقدم بيت الصلاة للمسجد، والتي تمثل أحد الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن السماوي المكشوف، والذي يمثل الرابط العضوي الذي يجمع بين مخطط الجامع والمدرسة معاً في بناء واحد متكامل.

* **ناقشت** الدراسة وحللت الآراء المختلفة حول فكرة السقيفة المزدوجة والتي تتقدم بعض العمائر العثمانية الدينية بهدف زيادة مساحتها الكلية، وقد رفض البحث ما قاله البعض من أن بدايات ظهورها كان في جامع العادلية في حلب؛ وذلك لخطأ ورود تاريخه الحقيقي ضمن هذا الرأي، والذي أرخه بعام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، مع أن تاريخه الفعلي هو (٩٦٣هـ / ١٥٥٦م)، وقد ظهرت نماذج سابقة على هذا التاريخ وقد عرضتها الدراسة بالتفصيل وفق منهج وصفي تحليلي مقارن.

* **رجحت** الدراسة أنه ربما تكون بدايات ظهور فكرة السقيفة المزدوجة كان في مخطط يشيل جامع (الجامع الأخضر) في مدينة ازنيك، والذي تتقدم مخططه سقيفة خارجية بالإضافة إلى وجود سقيفة داخلية تم إدماجها مع مساحة الفراغ الداخلي للجامع، وكذلك الحال في سقيفتي جامع محمود باشا الصدر الأعظم للسلطان محمد الفاتح في إستانبول، ثم تبعه الظهور الصريح للسقيفة المزدوجة في وضع خارجي عن المبنى في جامع السليمانية في چورلو، ثم في جوامع عدة ضمن مخططات عمائر ولايات الدولة العثمانية المترامية الأطراف شرقاً وغرباً.

* **أوضحت** الدراسة أنه على الرغم من أن السقيفة الثانية الخارجية ضمن نماذج السقائف المزدوجة دوماً ما تحيط بالسقيفة الأولى الداخلية من ثلاثة جوانب، إلا أن هناك نماذج كانت تتقدم السقيفة في وضع أمامي فقط دون الجانبين؛ وذلك بسبب وجودها ضمن مخطط الجامع والمدرسة والذي يجمع بينهما الصحن كرابط عضوي، وبالتالي فقد كانت هذه السقيفة تمثل مع حجرات المدرسة الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن الواقع بينهما، كما في سقيفة جامع ومدرسة الأدميرال سنان في بشكطاش، ومهرماه عند أدرنة قابي، وبياله باشا بقاسم باشا في إستانبول، ويلاحظ أن الأخير يختلف عن النماذج الأخرى في كونه لا يمثل نموذج الجامع والمدرسة معاً.

* **لفتت** الدراسة النظر إلى أن سقيفة جامع بياله باشا في قاسم باشا بإستانبول تمثل أنموذجاً فريداً للسقيفة المزدوجة التي تتقدم مخطط الجامع المتعدد القباب، أو ما يُعرف بالأولو جامع، ويلاحظ أنه يغطي كل سقيفة منهما سقف مائل، وربما يكون ذلك لأول مرة كنموذج فريد لمثل هذا النوع من السقائف المزدوجة، ويتفرد هذا الجامع كذلك بكونه يحتوي على نوعين من السقائف : النوع الأول وهو السقيفة التي تدور حول المبنى من ثلاث جهات عدا جدار القبلة، والنوع الثاني وهو السقيفة المزدوجة كذلك، وهو أمر ربما يكون جديداً.

* **أظهرت** الدراسة تميز السقيفة المزدوجة التي تتقدم يني جامع (الجامع الجديد) في كوموتيني باليونان في كون الرواق الجنوبي الغربي منها أكثر امتداداً عن الرواق الجانبي الآخر الشمالي الشرقي والذي يحيط بالسقيفة الداخلية كالمعتاد، بل إنه يمتد ليوازي الجدار الجنوبي الغربي من بيت الصلاة للجامع، ويشغل صدره محراب

مجوف بالتشابه مع السقائف التي تدور بالمبنى من ثلاث جهات كما في السنانية وأبو الذهب بالقاهرة وغيرهما.

* قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الوثائق وحجج الوقف:

- حجة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب (أوقاف رقم ٩٠٠) مؤرخة ٨ شهر شوال سنة (١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م).
- حجة وقف سنان باشا بن علي بن عبد الرحمن رقم (٢٨٦٩) أوقاف، المؤرخة بالعشرين من ربيع الأول سنة (٩٩٦هـ / ١٥٨٧م).
- وثيقة وقف مسيح باشا الوالي العثماني كافل المملكة الشريفة الإسلامية بالديار المصرية والأقطار الحجازية واليمن، رقم ٢٨٣٦ أوقاف، تحقيق علي محمود سليمان المليجي، إصدارات مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ١٦، الإسكندرية ١٩٩١ – ١٩٩٢م.

ثالثاً: المصادر العربية:

- ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن الوكيل، يوسف أفندي الملواني (ت ١١٣١ هـ / ١٧١٩م)، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ابن عبد الغني، أحمد شلبي المصري الحنفي (ت ١١٥٠هـ / ١٧٢٧م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات (الملقب بالتاريخ العيني)، ضبط وتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، ١٨ جزء، الطبعة الثالثة طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.
- أوليا چلبي، ابن محمد ظلي، (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م)، سياحتنامه مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، و د. أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة د. أحمد فؤاد متولي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الحنفي (ت ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق أ. د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، أربعة أجزاء، عن طبعة بولاق، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٧م.
- القرماني، أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

رابعاً: المراجع العربية:

- أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.
- أحمد محمد زكي أحمد:

* المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المهندس سنان، مجلدان، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

* تشكيل الجدران الخارجية في عمائر القاهرة الدينية في العصر العثماني (٩٢٣ – ١٢١٣هـ / ١٥١٧ – ١٧٩٨م)، ٣ مجلدات، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

* "تطور شكل الدرگاه في تخطيطات العمائر العثمانية الدينية بمدينة القاهرة "دراسة وصفية تحليلية مقارنة" (٩٢٣ – ١٢١٣ هـ / ١٥١٧ – ١٧٩٨ م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد الثاني والستون، سنة ٢٠١٠ م.

- أحمد محمود عبد الوهاب المصري، العمائر ووثائق الغوري الجديدة بوزارة الأوقاف، مجلدان، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.
- أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.
- أصلان آبا، أوقطاي، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز البحوث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول، ١٩٨٧م.
- تامر مختار محمد، "مسجد عواض بك بمدينة مغنيسا التركية – دراسة أثرية معمارية"، المؤتمر الدولي السابع "الحياة اليومية في العصور القديمة"، مركز الدراسات البردية والنقوش – جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٦ م.
- جمال عبد الرحيم، "موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية ودوره في عمارة الدور السكنية بفسطاط مصر"، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، ع ٩، ذو الحجة ١٤٢٩هـ/ يناير ٢٠٠٨م.
- حسن عبد الوهاب:

* "مساجد ومشاهد الدولة الفاطمية"، مجلة منبر الإسلام، السنة ١٩، العدد ٦، جمادى الثانية ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.

* "الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة"، مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد الرابع، ١٨– ٢٩ مايو ١٩٦٢م.

* تاريخ المساجد الأثرية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط ٢، شباب الجامعة، ١٩٨٢م.
- سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء، القاهرة، ١٩٧١ – ١٩٨٠م.
- سليم عادل عبد الحق وخالد معاذ، "مشاهد دمشق الأثرية"، مطبوعات مديرية الآثار في سورية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م.
- عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧م.
- عبد القادر الريحاوي، "المدرسة والتكية السليمانيتان"، الحوليات الأثرية السورية، المجلد السابع، الجزء الأول والثاني، دمشق، ١٩٥٧م.
- عبد الله عطية عبد الحافظ، "نماذج من منشآت ولاة مصر العثمانيين في إسطنبول"، ندوة الآثار الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي"، دار طيبة للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- علي أحمد الطايش، "طراز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول"، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، دار طيبة، ١٩٩٨م.
- علي محمود سليمان المليجي، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، مجلدان، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.

- كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ٣ جزء، ط ٢، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- لجنة حفظ الآثار العربية، محاضر وتقارير اللجنة عن عام ١٩٠٢م، المجموعة ١٩، ص ١٠٠.
- لجنة حفظ الآثار الوطنية في البوسنة.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.
- محمد أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- محمد التونجي، معجم المعربات الفارسية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، راجعه السباعي محمد السباعي، ط. ثانية منقحة ومزيدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد جاد، تذاكر المعماري سنان – دراسة وترجمة إلى العربية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، ١٩٨٤م.
- محمد حمزة إسماعيل الحداد:

* موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي (المدخل)، (الكتاب الأول)، مكتبة زهراء الشرق، د.ت.

* العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، مج ١، ط ١، الكويت : جامعة الكويت، د.ت.

* طراز المسجد القبة وأنماطه الباقية في المدينة المنورة والهفوف – دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله وتطوره في العمارة الإسلامية، بحث ضمن كتاب اللقاء العلمي الثاني لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، الرياض، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.

* عمائر الوزير قوجه سنان باشا (المتوفي ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥م) الباقية في القاهرة ودمشق "دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية"، بحث في كتاب : بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، ط ٢ مزيدة ومنقحة، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- محمد راغب الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه محمد كمال، ٦ أجزاء، ط ٢، دار القلم العربي بحلب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- محمد علي حامد بيومي، كتابات العمائر الدينية العثمانية بإستانبول – دراسة أثرية فنية، جزءان، مخطوط رسالة دكتوراه قسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.
- محمد كرد علي، خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة المفيد بدمشق، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.
- محمد محمد أمين وليلي علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، ط ١، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ناصر سيد أحمد ومصطفى محمد وآخرون، المعجم الوسيط، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- نجوى عثمان، الهندسة الإنشائية في مساجد حلب، رسالة ماجستير في تاريخ العلوم التطبيقية، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- هدايت علي تيمور، جامع الملكة صفية، دراسة أثرية معمارية، مجلدان، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

خامساً: المراجع المعربة:

- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بنيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
- كريزويل (ك. أ. س):

* الآثار الإسلامية الأولى، نقله للعربية عبد الهادي عبله، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو، ط ١، مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.
* العمارة الإسلامية في مصر، المجلد الأول، الإخشيديون والفاطميون (٩٣٩ – ١٧١١م)، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، راجعه واستخرج نصوصه وقدم له وعلق عليه أ. د. محمد حمزة، ط ١، مكتبة زهراء الشرق ودار القاهرة، ٢٠٠٤م.
• نياز محمد شكريتش، انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ط ١، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ديسمبر ١٩٩٥م.

سادساً: المراجع التركية:

• أحمد جودت بك، تذكرة البنيان (قوجه معمار سنان مكملاً ترجمة جاليلة آثاري حقنده معلوماتي حاويدر مؤلف ساعي)، دار سعادت، أقدام مطبعة سي ١٣١٥هـ.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

• Bates, Ülkü, Façades in Ottoman Cairo, in : "The Ottoman City and its parts urban structure and social order", Edited by : Irene A. Bier man Rija'at A. Abou – El – Haj, Donald Preziosi, Aristide D. Caratz publisher New Rochello, New York, n.d.
• Goodwin, Godfry, A History of Ottoman Architecture, London, 1971.
• Hamdija Kreševljaković, džamija i vakufnama muslihuddina čekrekčije: prilog povijesti saragjeva XVI. stolječa, glasnik islamske vjerske zajednice kraljevine jugoslavije, državna štamparija, sarajevo, 1938.
• Hivzija Hasandedić, spomenici kulture turskogdoba u mostaru, durgo dopunjeno izdanje, islamski kulturni center, mostar, 2005.
• Husref Redžić, Studije o islamskoj arhitektonskoj baštini, Veselin Masieša,Sarajevo, 1983.
• Kuban, Doğan, L'Architecture Ottomane, L'Art en Turquie, Paris, 1962.
• Kuran, Abtullah, Sinan The Grand Old Master of the Ottoman Architecture, Istanbul, 1987.
• Levey, Michel, The World of Ottoman Art, London, 1975.
• Mehmet Ibrahim, Gazi Husrev Bey Külliyesi ve Bosna – Hersekʿteki Son Durum, X. Vakif Haftasi Kitabi, Ankara, 1993.
• Selcuk, Mülayim, Sinan Vec agi, Istanbul, 1989.
• Stratton, Arthur, Sinan, London, 1972; Selcuk, Mülayim, Sinan Vec agi, Istanbul, 1989.
• Ünsal, Bahçet, Turkish Islamic Architecture in Suljuk and Ottoman Times (1071 – 1923), London, 1959.
• Vogt – Göknil, Ulya, Living Architecture: Ottoman, London, 1966.
• Yetkin, Suut Kemal, The Evaluation of Architectural form of Turkish Mosques (1300 – 1700), Studia Islamica, No. 11, Paris, 1959.

- **أولاً: الأشكال:**

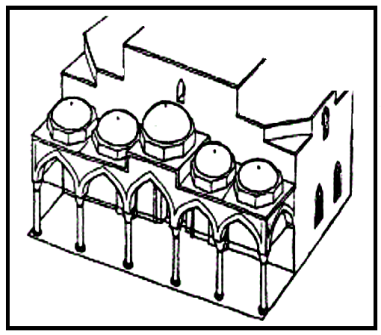

شكل رقم (١): منظور يوضح السقيفة التي تتقدم العمائر العثمانية.

(الباحث).

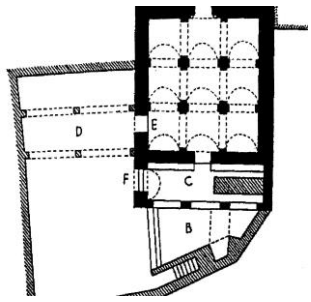

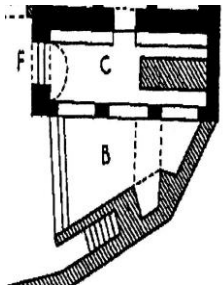

شكل رقم (٢): مسقط أفقي لجامع بوفتاته في سوسة بتونس يوضح السقيفة التي تتقدم مخططه.

(عن: حسن عبد الوهاب بتصرف).

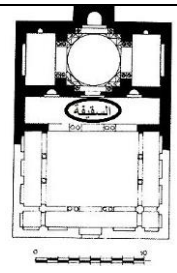

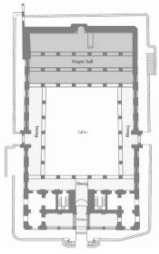

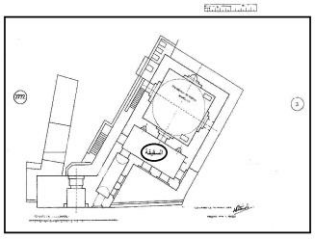

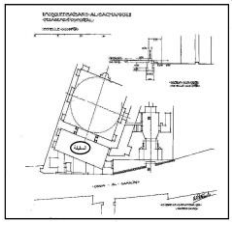

شكل رقم (٣): مسقط أفقي لمشهد السيدة رقية وجامع الصالح طلائع وقبة الأشرف خليل وقبة بيبرس الجاشنكير بالقاهرة يوضح السقيفة التي تتقدم مخططاتهم.

(عن: هيئة الآثار المصرية).

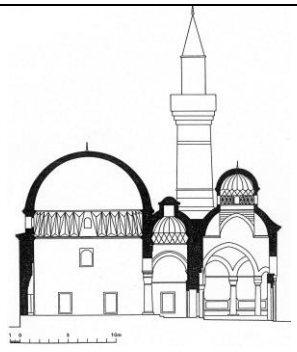

شكل رقم (٤): قطاع ليشيل جامع في ازنيك يوضح سقيفته الداخلية والأخرى الخارجية.

(عن: جودوين).

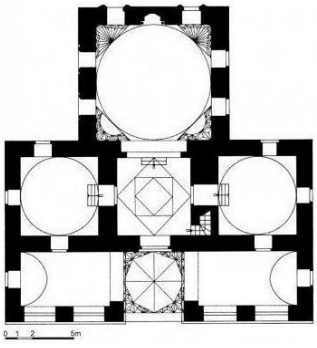

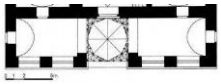

شكل رقم (٥): مسقط أفقي لمسجد فيروز بك في ميلاس يوضح السقيفة التي تتقدم مخططه.

(عن: جودوين بتصرف).

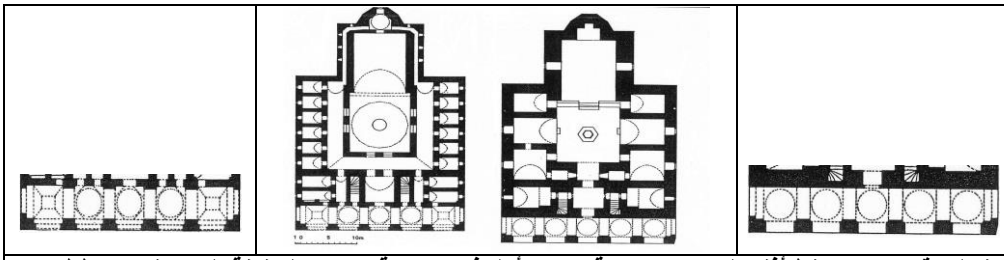

شكل رقم (٦): مسقط أفقي لجامع ومدرسة مراد الأول في بورصة يوضح السقيفة التي تتقدم مخططهما.
(عن: جودوين بتصرف).

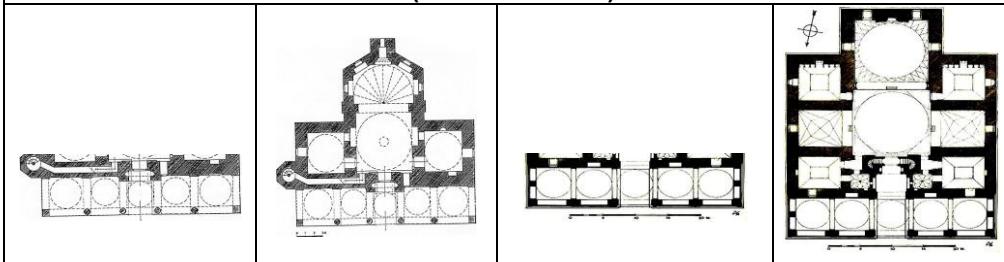

شكل رقم (٧): مسقط أفقي لجامع بايزيد الأول في بورصة يوضح السقيفة التي تتقدم مخططه.
(عن: آصلان آبا بتصرف).

شكل رقم (٨): مسقط أفقي ليشيل امارت (دار المرق الخضراء) ليخشي بك في تيرة والسقيفة التي تتقدمها. (عن: آصلان آبا بتصرف).

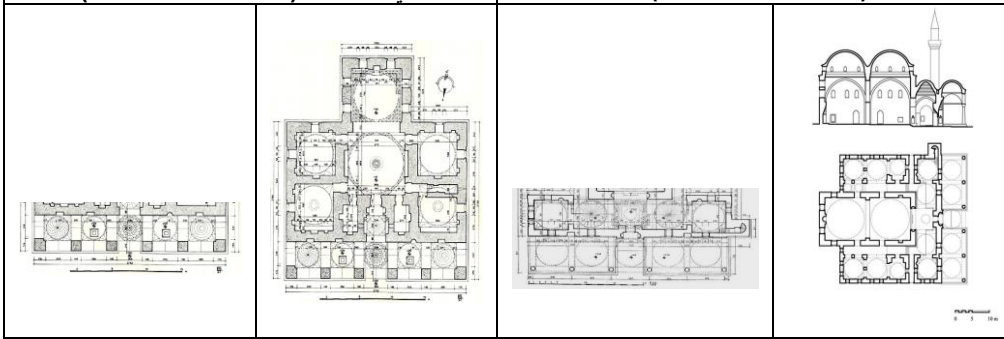

شكل رقم (٩): مسقط أفقي وقطاع لمسجد محمود باشا بإستانبول يوضح سقيفتيه.
(عن: جودوين بتصرف).

شكل رقم (١٠): مسقط أفقي لجامع البايزيدية في اماسيا يوضح سقيفته.
(عن: بهجت أونصال بتصرف).

شكل رقم (١١): قطاع رأسي لجامع غازي خسرو بك بسراييفو في البوسنة يوضح السقيفة التي تتقدمه.
(عن: Redžić بتصرف).

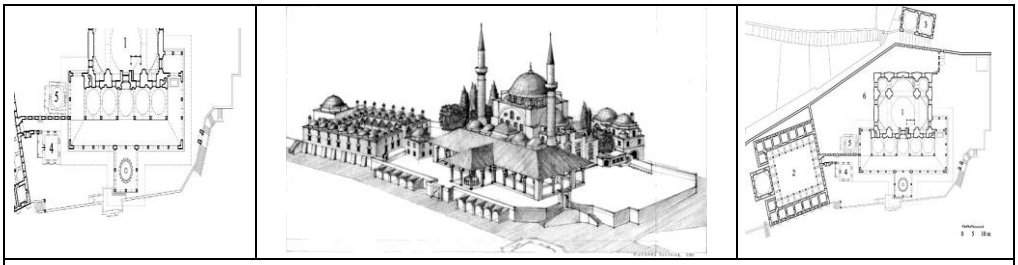

شكل رقم (١٢): مسقط أفقي ومنظور لجامع مهرماه في اسكدار بإستانبول يوضح السقيفة المزدوجة التي تتقدمه. (عن: كوران بتصرف).

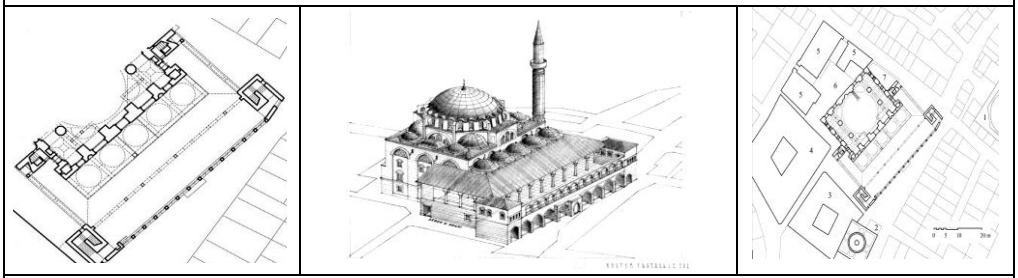

شكل رقم (١٣): مسقط أفقي ومنظور لجامع رستم باشا في امينونو بإستانبول يوضح السقيفة المزدوجة التي تتقدمه. (عن: كوران بتصرف).

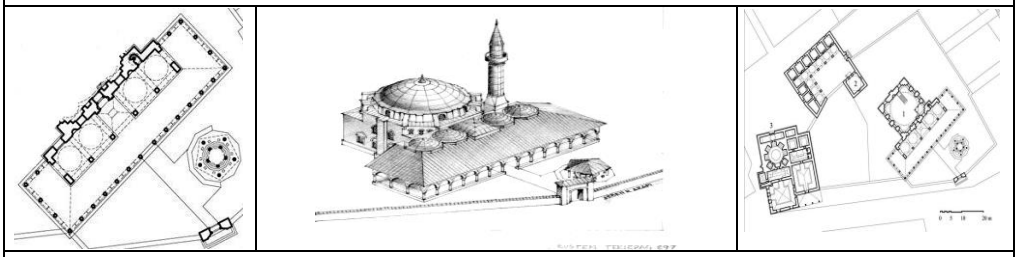

شكل رقم (١٤): مسقط أفقي ومنظور لجامع رستم باشا في تكيرداغ بإستانبول يوضح السقيفة المزدوجة التي تتقدمه. (عن: كوران بتصرف).

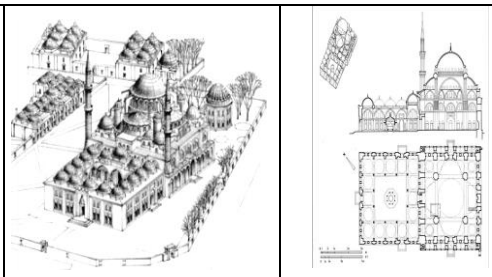

شكل رقم (١٥): مسقط أفقي وقطاع ومنظور لجامع شهزادة بإستانبول ضمن مجمعه يوضح الرواق الجانبي الذي يتقدم مخططه. (عن: كوران).

شكل رقم (١٦): تفاصيل الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة جامع شهزادة محمد بإستانبول والذي يمثل أحد أضلاع الصحن الذي يتقدمه. (الباحث).

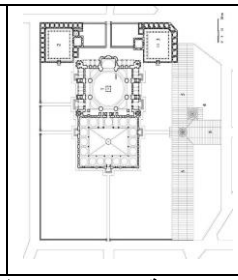
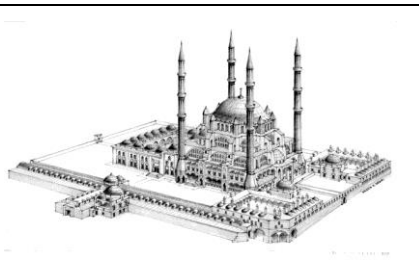
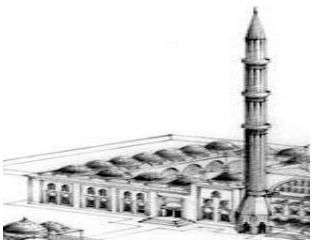

شكل رقم (١٧): مسقط أفقي ومنظور لجامع السليمية بأدرنة يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة عن باقي الأروقة الأخرى بأضلاع الصحن الذي يتقدمه.
(عن: كوران بتصرف).

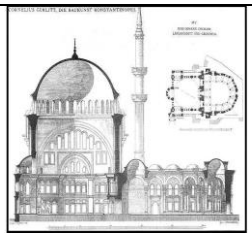
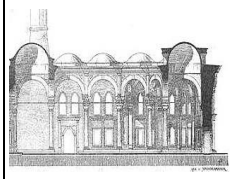

شكل رقم (١٨): مسقط أفقي وقطاع لجامع نور عثمانية بإستانبول يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة عن باقي الأروقة.
(عن: جودوين بتصرف).

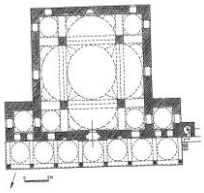
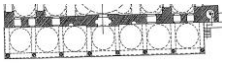

شكل رقم (١٩): مسقط أفقي لجامع فاتح باشا في ديار بكر يوضح سقيفته المقسمة إلى سبع وحدات.
(عن: آصلان آبا بتصرف).

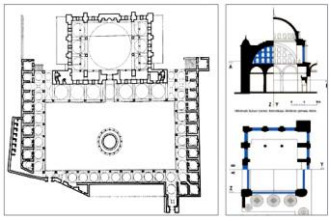
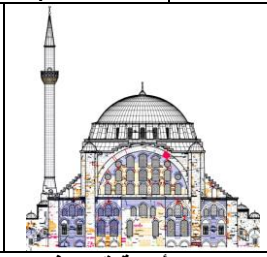
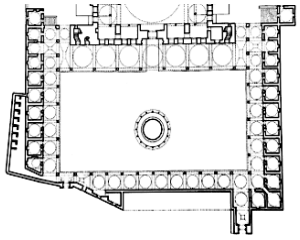

شكل رقم (٢٠): مسقط أفقي وقطاع لجامع مهرماه بأدرنة قابي في إستانبول يوضح السقيفة المزدوجة التي تتقدمه. (عن: كوران بتصرف).

شكل رقم (٢١): رسم تخطيطي لسقيفة جامع صوقللو محمد بقادرغه في إستانبول.
(الباحث).

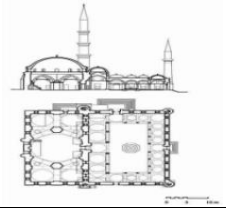
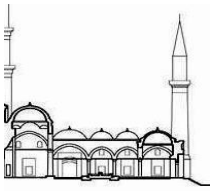

شكل رقم (٢٢): مسقط أفقي وقطاع لجامع أوچ شرفلي بأدرنة يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة عن باقي الأروقة.
(عن: هيلنبراند بتصرف).

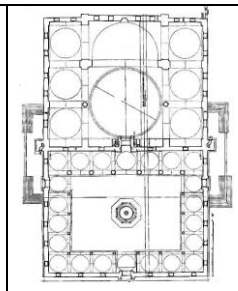

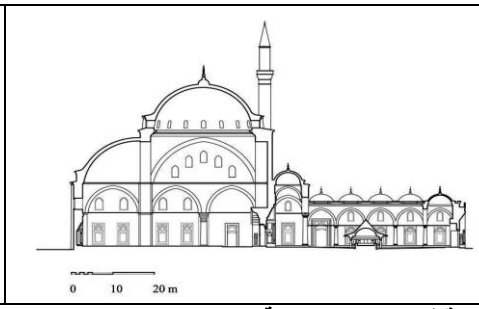

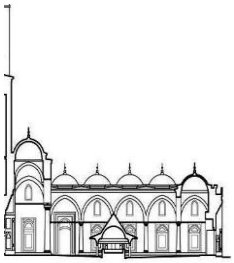

شكل رقم (٢٣): مسقط أفقي وقطاع لجامع الفاتحية بإستانبول يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة عن باقي الأروقة الأخرى بأضلاع الصحن.
(عن: جودوين بتصرف).

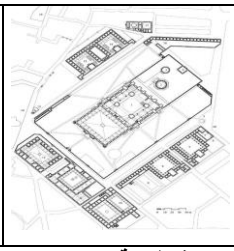

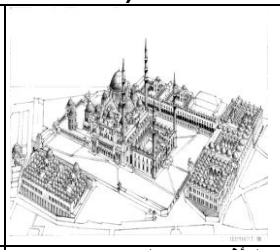

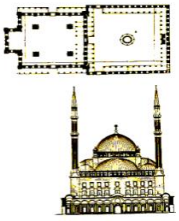

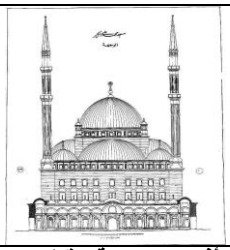

شكل رقم (٢٤): مسقط أفقي ومنظور لجامع السليمانية في إستانبول يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة عن باقي الأروقة الأخرى بأضلاع الصحن. (عن: كوران).

شكل رقم (٢٥): مسقط أفقي وواجهة وقطاع لجامع محمد علي باشا بقلعة الجبل في القاهرة يوضح الرواق الداخلي والآخر الخارجي الذي يتقدم بيت صلاته. (عن: هيئة الآثار المصرية).

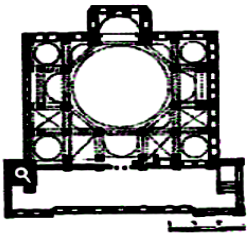

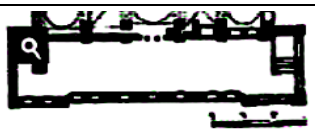

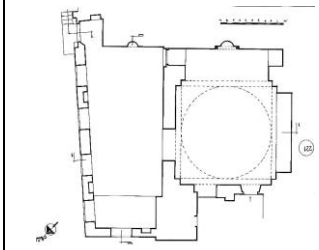

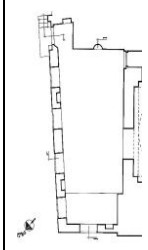

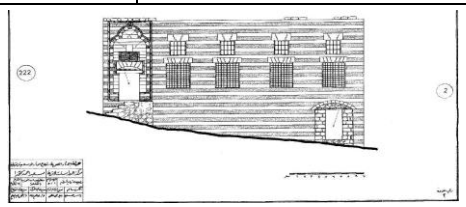

شكل رقم (٢٦): مسقط أفقي لجامع صوقللو محمد عند باب العزب في إستانبول يوضح سقيفته ذات السقف المائل. (عن: كوران بتصرف).

شكل رقم (٢٧): مسقط أفقي وواجهة سقيفة جامع كتخدا العزب في القاهرة بوضعها الجانبي على غير محور المحراب.
(عن: هيئة الآثار المصرية بتصرف).

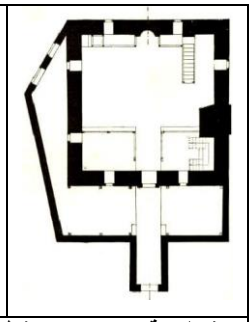

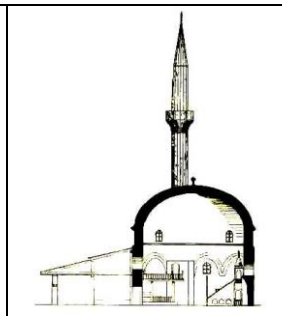

شكل رقم (٢٨): مسقط أفقي وقطاع لجامع مصلح الدين تشكركتشي بسراييفو في البوسنة يوضح سقيفته على شكل حرف (L). (عن: Hamdija).

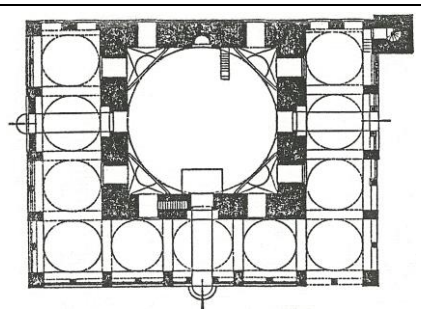

شكل رقم (٢٩): مسقط أفقي لجامع السنانية في بولاق بالقاهرة يوضح سقيفته على شكل حرف (U). (عن: هيئة الآثار المصرية).

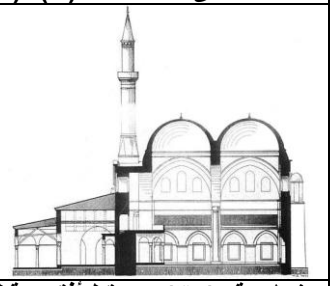

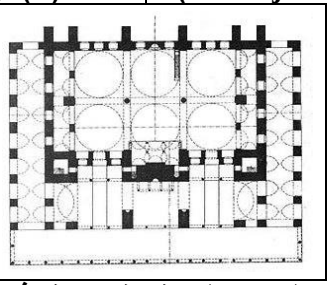

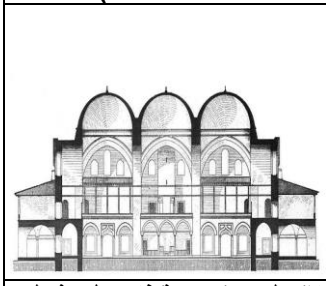

شكل رقم (٣٠): مسقط أفقي وقطاع لجامع بياله باشا بقاسم باشا في إستانبول يوضح سقيفته على شكل حرف (U)، والسقيفة الأخرى التي تتقدمها.
(عن: كوران بتصرف).

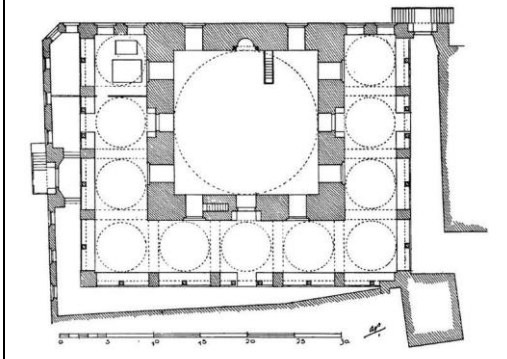

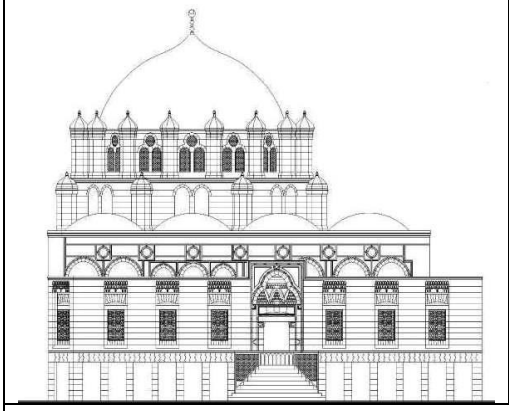

شكل رقم (٣١): مسقط أفقي وقطاع لجامع أبو الذهب في ميدان الأزهر بالقاهرة يوضح سقيفته على شكل حرف (U)، وواجهتها البحرية. (عن: هيئة الآثار المصرية).

- **ثانياً: اللوحات:**

<table>
<tr><td> </td><td> 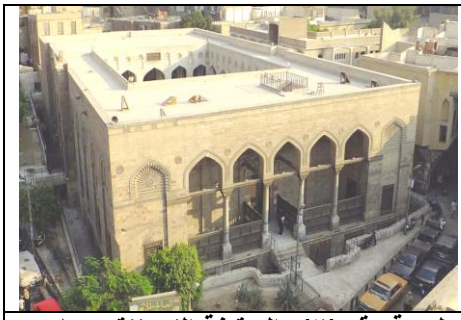 </td></tr>
<tr><td>لوحة رقم (١): السقيفة التي تتقدم مشهد السيدة رقية بمدينة القاهرة.
(الباحث).</td><td>لوحة رقم (٢): السقيفة التي تتقدم جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة بالقاهرة.
(الباحث).</td></tr>
<tr><td> </td><td> 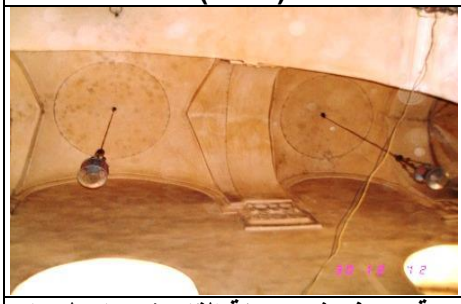 </td></tr>
<tr><td colspan="2">لوحة رقم (٣):السقيفة التي تتقدم القبة الملحقة بمدرسة صرغتمش بمدينة القاهرة وما تعلوها من قبوات.
(الباحث).</td></tr>
<tr><td> 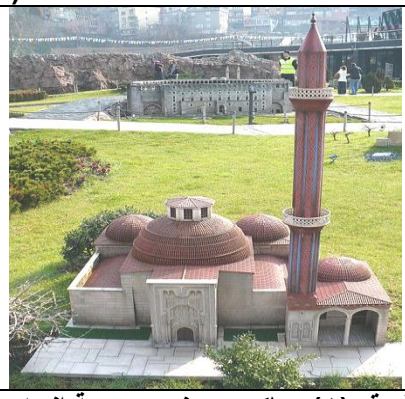 </td><td> 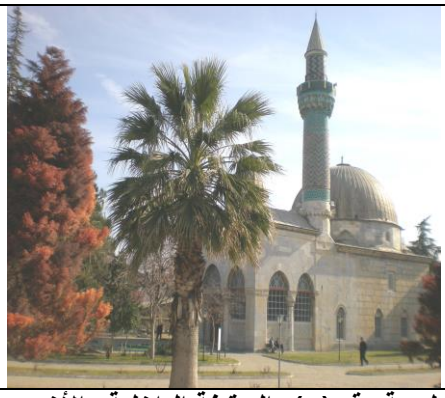 </td></tr>
<tr><td>لوحة رقم (٤): ماكيت يوضح مدرسة انجه مناره لي بقونية والسقيفة التي تتقدم المسجد الملحق بها (عن: http://www.kultur.gov. بتصرف).</td><td>لوحة رقم (٥): السقيفة الداخلية والأخرى الخارجية التي تتقدم مخطط يشيل جامع (الجامع الأخضر) في ازنيك
(عن: 3dmekanlar بتصرف).</td></tr>
</table>

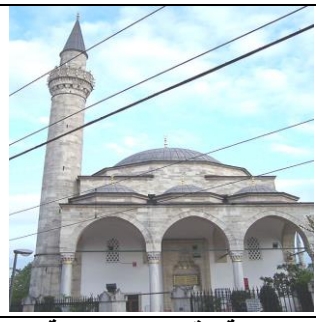

لوحة رقم (٦): واجهة السقيفة التي تتقدم مسجد فيروز أغا في إستانبول. http://www.kultur.gov.

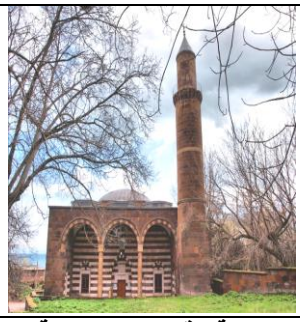

لوحة رقم (٧): واجهة السقيفة التي تتقدم مسجد اسكندر باشا في اخلاط. (عن: http://www.kultur.gov

لوحة رقم (٨): واجهة السقيفة التي تتقدم جامع غازي خسرو بك في سراييفو بالبوسنة. (الباحث).

لوحة رقم (٩): منظر يوضح السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع مهرماه في اسكدار بإستانبول (بريشة الرسام أوجست فينك).

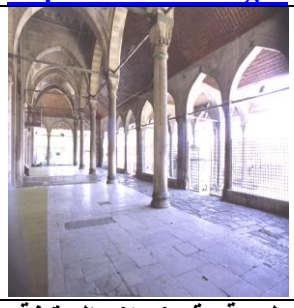

لوحة رقم (١٠): السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع مهرماه في اسكدار بإستانبول من الداخل. (عن: http://www.kultur.gov.).

لوحة رقم (١١): ماكيت يوضح السقيفة التي تتقدم مخطط جامع المرادية في مغنيسه وتتقدم جانبيه. (عن: http://www.kultur.gov.)

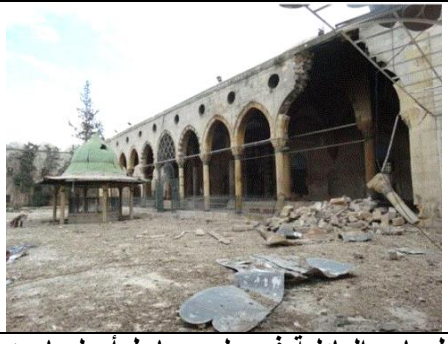

لوحة رقم (١٢): السقيفة المزدوجة التي تتقدم مخطط جامع العادلية في حلب وما طرأ عليها من تدمير في الحرب الحالية. (عن: الشبكة الدولية).

لوحة رقم (١٣): السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع رستم باشا في امينونو بإستانبول والبلاطات التي تكسوها.
(عن: 3dmekanlar بتصرف).

لوحة رقم (١٤): منظر يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة في جامع السليمية بأدرنة عن باقي أروقة أضلاع الصحن الأخرى.
(عن: 3dmekanlar بتصرف).

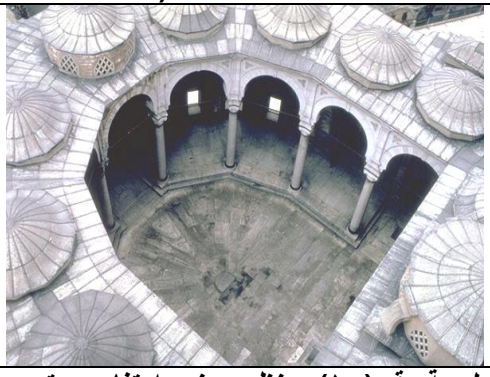

لوحة رقم (١٥): منظر يوضح ارتفاع مستوى قباب الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة في جامع نور عثمانية بإستانبول عن باقي أروقة أضلاع الصحن الأخرى.
(عن: 3dmekanlar بتصرف).

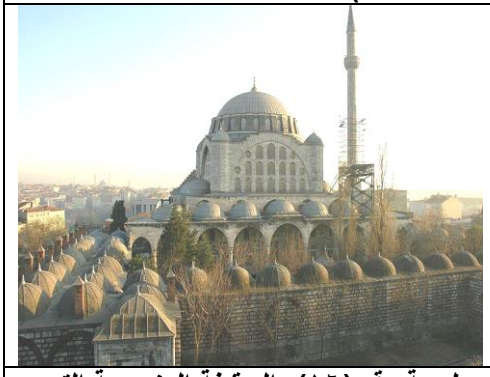

لوحة رقم (١٦): السقيفة المزدوجة التي تتقدم جامع مهرماه بأدرنة قابي في إستانبول.
(عن: 3dmekanlar بتصرف).

لوحة رقم (١٧): سقيفة جامع صوقللو محمد في قادرغه باستانبول من الداخل وما تزدان به من حليات وبلاطات خزفية.
(عن: 3dmekanlar بتصرف)

لوحة رقم (١٨): منظر يوضح ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة بجامع أوچ شرفلي في أدرنة عن باقي أروقة أضلاع الصحن الأخرى.
(عن: 3dmekanlar بتصرف)

لوحة رقم (١٩): منظر يوضح ارتفاع مستوى الرواق الأصلي الذي يتقدم بيت الصلاة بجامع الفاتحية بإستانبول عن باقي أروقة الصحن الأخرى.
(عن: 3dmekanlar بتصرف)

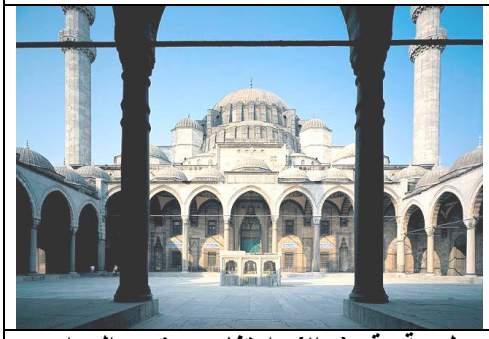

لوحة رقم (٢٠): ارتفاع مستوى الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة بجامع السليمانية في إستانبول عن باقي أروقة الصحن الأخرى.
(عن: 3dmekanlar بتصرف)

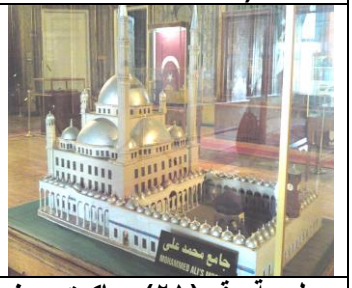

لوحة رقم (٢١): ماكيت يوضح السقائف الخارجية على جانبي بيت الصلاة بجامع محمد علي في قلعة الجبل في القاهرة ومنظر داخلي يوضحه من الداخل.
(الباحث)

لوحة رقم (٢٢): منظر يوضح الرواق الداخلي في الجهة الشمالية الغربية من بيت الصلاة بجامع محمد علي في القاهرة.
(الباحث)

لوحة رقم (٢٣): السقف المائل الذي يغطي السقيفة التي تتقدم جامع صوقللو محمد باشا عند باب العزب بإستانبول.
(عن: 3dmekanlar بتصرف).

لوحة رقم (٢٤): منظر يوضح الحالة السيئة لسقيفة جامع أحمد كتخدا العزب والمحراب بصدر واجهتها الشرقية في قلعة الجبل بالقاهرة. (الباحث).

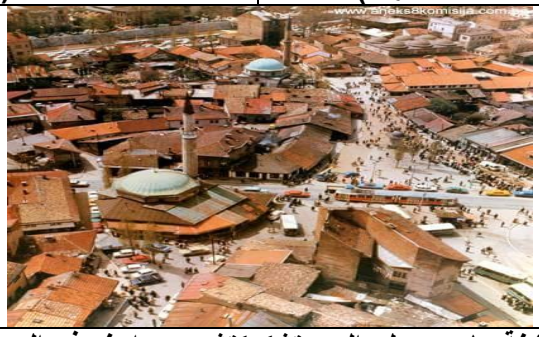

لوحة رقم (٢٥): سقيفة جامع مصلح الدين تشكركتشي بسراييفو في البوسنة والتي تأخذ شكل حرف (L).
(عن: لجنة حفظ الآثار الوطنية بالبوسنة).

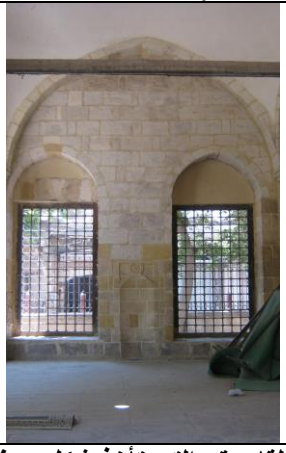

لوحة رقم (٢٦): واجهة سقيفة جامع السنانية ببولاق في القاهرة والتي تأخذ شكل حرف (U)، والمحراب الواقع في صدر واجهتها الشرقية.
(الباحث).

لوحة رقم (٢٧): منظر يوضح السقائف الخارجية الجانبية بجوامع: السليمانية والأحمدية ولاله لي في إستانبول وجامع السليمية في أدرنة. (عن: 3dmekanlar بتصرف).

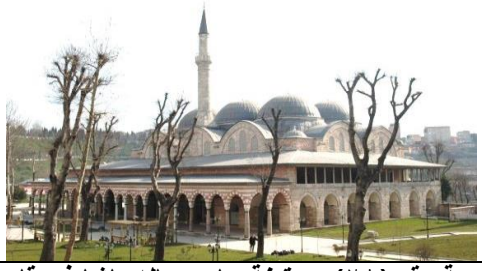

لوحة رقم (٢٨): سقيفة جامع بياله باشا في قاسم باشا بإستانبول والتي تأخذ شكل حرف (U). (عن: http://www.kultur.gov.).

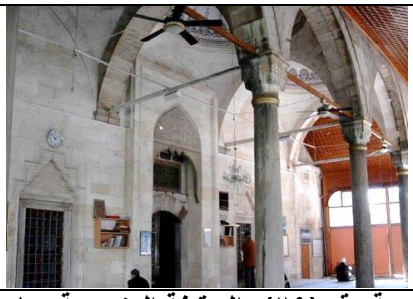

لوحة رقم (٢٩): السقيفة المزدوجة بجامع السليمانية في چورلو من الداخل والخارج. (عن: http://www.kultur.gov.).

لوحة رقم (٣٠): السقيفة المزدوجة بجامع التكية - المدرسة السليمانية في دمشق. (الباحث).

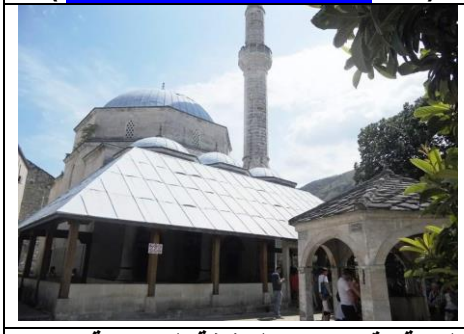

لوحة رقم (٣١): السقيفة المزدوجة بجامع كاراجوز بك في موستار. (عن: لجنة حفظ الآثار الوطنية بالبوسنة).

Evolution of the shape of the portico in front of the Ottoman mosques"Comparative & Analytical Study"

Dr. Ahmed Mohamed Zaki Ahmed •

Abstract:

This study deals with the idea of the outer rewaq, or the so-called portico, which in the front of the Ottoman religion buildings, inherited by the Ottomans from Seljuk, with an analysis of the origins of the Islamic world, its Maghreb and its most important models, and the analytical study of the types of these portico and the evolution of its forms in order to add extra space for the buildings attached to it as an alternative to the sahn, which is devoid of it:

1- The portico in front of the building on the axis of the mihrab.
2- The portico in front of the building on the other than the axis of the mihrab.
3- The portico that surrounds the building from two sides in the form of the English letter (L).
4- The portico that surrounds the building from three sides except the wall of the Qibla in the form of the English letter (U).
5- The Double portico.

With mention the different models of each type, and explaining the plan of the building which a portico in front of it.

In conclusion, the study presented a set of results God Almighty call for to be a new good vision about the shape of the portico and its architecture and construction types in the Ottoman architecture in particular, and Islamic architecture in general.

Keywords:

Portico – The Front Rewaq – The Styles of Bursa – Dome – The Double Portico – The Reverse "T".

(•)**Assistant Prof. Department of History and the Egyptian, Islamic monuments - Faculty of Arts - Alexandria University.** drahmadzaky@yahoo.com